عَلِيْ اَلشَرْقِيْ

اَلْنَوادِيْ اَلْعِراقِيّة

جمع وتحقيق

موسى الكرباسي

صدر ضمن موسوعة الشيخ علي الشرقي النثرية

1989

بسم الله الرحمن الرحيم

النوادي العراقية

تحفل مقالات النوادي العراقية بمضامين هامة في سجل التاريخ العراقي تلقي الكثير من الأضواء على معارف متعددة الأغراض ، ذات هدف إيجابي نبيل ،يدلل بأكثر من سبب على كشف واقع من الاحداث ، وتبيان أمور لم يتعرف عليها المواطن ، وإظهار معالم تاريخية مشرقة ، اتسم بها تراثنا الزاهر الماضي في حقول متباينة الأهداف، تتيح للقارئ والباحث المجال لربط ما تدلل عليه احداث العصر الحديث ، من مقاصد ومضامين بما كان عليه ماضينا المجيد من مزايا، لمقاصد ومضامين طرقها الاقدمون وعاشوا تجاربها .

وقد مكنت تجربة الشيخ الشرقي في معايشة عصره، وتطلعه الثقافي ودفعه تعلقه بمبدأ التطور ونشدان التجديد الى ان يبرز كاتبا ، مسجلا، محللا لاحداث رافقت العراق عبر المسار التاريخي وعايشت الدواعي والأسباب، ووقفت على العوامل البيئية لتمنح من دراسة كل ذلك النتائج الإيجابية التي تترتب عليه من عملية تلك الدراسة ، ومعايشتها.

ظهرت مقالات النوادي العراقية بمسلسلات في الصحف المحلية ، وجدت من القراء ، والمتابعين تجاوبا كبيرا ونجم عن هذا التجاوب، الاقبال على متابعة المسلسلات هذه، والتعليق على بعضها عن طريق المجالس الأدبية التي كانت تنعقد في البيوت، او عن طريق تناولها في الصحف المحلية، تحليلا لها او نقدا لجوانب منها.

مصدرها الرئيسي :

شملت مقالات النوادي العراقية 32 اثنين وثلاثين مقالة، بدأت الأولى بتاريخ 21 أيلول 1927 المصادف 24 ربيع الأول سنة 1346 هجرية وختمت اخر مقالة بتاريخ 16 اذار 1928 المادف 27 رمضان سنة 1346 هـ. ونشرت كل هذه الحلقات جريدة النهضة العراقية.

موضوعاتها :

تطل مقالات النوادي العراقية من خلال عرضها وتحليلها على نوافذ ثلاث.

النافذة السياسية:

وقد عالجت الامورالتالية:

أ- تاريخ العراق السياسي
ب- العقلية السياسية
ت- الخطط السياسية

تمخضت أفكار الشرقي من خلال معايشته لفترات ثلاث:

الأولى : بقايا الحطام المهشم من العهد العثماني

الثانية: عهد الاحتلال البريطاني للعراقي 1916 – 1921

الثالثة : بداية العهد الملكي 1921 – 1927

النافذة الاقتصادية :

تعكس تجربة الشيخ الشرقي ، وخبرته في الشؤون الزراعية من خلال تطوافه وتجواله ومعايشته لكثير من حياة الريف العراقي ، ومطالسته لاحوال المجتمع الزراعي، أقول تعكس هذه التجربة ابعاد الحالة الاقتصادية في العراق في أوائل القرن العشرين، وافاق الحقول الزراعية ، وما ينجم عن هذه الحقول من موارد هامة تمون الاهلين بما تدر عليهم من منافع فضلا عن معايشة الري، والسكان، والقبائل ، وما يفيض عليهم ماء الأنهار من خيرات وبركات.

النافذة الأدبية:

ان البنية الثقافية التي نمى الشاعر بها نفسه ، مكنته من قدرة كبيرة على استعراض موفق لطبيعة العمل الادبي ولعرض ناجح لما عليه المجتمع العراقي من حال ، وما تمتلك ارضية هذا المجتمع من استعداد فطري جذري لقبول ما يطرح من أفكار أدبية تساهم في نضج وتبلور الفكر القومي ، وتركز الحماسة الوطنية في أبناء الشعب العربي الواحد لينفض الغبار وينهض ويأخذ مكانه المنشود في التقدم والازدهار .

المحقق

موسى إبراهيم علي الكرباسي

-1-

(1)

النوادي العراقية

كان النظام في العالم ولا يزال يتردد بين نقطتين أساسيتين هما الفردية والاجتماعية. فروح القديم روح فردية في الدين والسياسة وفي العمل وفي الملكية. فالدين يقوم الوازع الديني للفرد أو الافراد فيتناول الفرد ليصلح به الاجتماع ولا يتناول الاجتماع ليصلح به الفرد. أما السياسة فمطبوعة بطابع الملك او الامير او الزعيم لا ظاهرة للامة بجميع كتلاتها فالملك او الامير او الزعيم هو الامة وهو الجند وهو التشريع والتنفيذ وهو الكل في الكل . وهكذا الشأن في التجارة والزراعة فالعمل والعامل والمعمل كلهم مطبوعون بطابع التاجر ، والملكية في الاقطاع والعقارات والحياض الزراعية للمالك الخاص فلا ملكية للامة . في حين ان روح الجديد روح اجتماعي . فالحكومة ديمقراطية شعبية تتقوم بالاحزاب والنواب ، والتجارة بالشركات، والعمل والصناعة بالنقابات. وللامة نواد ومعاهد. وأساس العامة اجتماعي بالترشيح والانتخاب ليس فيه شيء من الاستيثار والسلطة. فمقياس التجدد في كل شعب يكون بمقدار الانتقال من الفردية الى الاجتماعية، ولن يكون ذلك الانتقال صحيحا الا اذا كان منبثقا عن عوامل متمكنة في نفسية الامة، وعن حركة في عقليتها ، ومتأثرا باصلاح داخلي في الحياة الكامنة وراء هذه الحياة ، انتقال في رغبات قد انفعلت بها الغرائز والمشاعر .

والنهضة هي المسعى لذلك الانتقال والتحول من اسلوب في الحياة الى اسلوب ارقى . وان اظهر ما تكون حركة الامة أو جمودها نحو ذلك الانتقال قانونها الذي لا بد ان يكون مرنا يقبل الاصلاح ويدخله التجدد ولا بد وان يكون الوضع التشريعي فيها دائما يماشي الوضع الاجتماعي . والمجددة في كل قوم هم حزب الاحرار والجامدون هم حزب المحافظين فحزب الاحرار وحزب المحافظين حزبان طبيعيان في كل مكان وزمان ومقياس التجدد في الامة هو مقدار حزب الاحرار فيها.

واذا حللنا الظواهر العراقية نجد التجدد فيها قليلا لان حركة الانتقال فيه ضئيلة وقلما كانهناك اتجاه للانتقال. فالروح الفردية شايعة ومنتشرة في الظواهر العراقية ، والعراقيون من حزب المحافظين. واظهر مظاهر الروح الاجتماعية في العراق في موطنين : النوادي العراقية والحكومة . كما ان اصدق حزب يمثل العقلية العراقية ويماشي الوضع الاجتماعي في العراق هو حزب النهضة، لان النهضة كما اسلفنا هي السعي للانتقال من الفردية الى الاجتماعية وهي عين الاتجاه الذي يتجهه العراق بخلاف حزب الشعب وحزب التقدم وحزب الاستقلال . اما حزب الشعب فلا يمكن ان يمثل العراقيين ولا الوضع الاجتماعي في العراق لانه سابق لاوانه ، وانما يكون في العراق حزب شعب صحيح بعد ان تقطع النهضة مرحلتها وينتقل الشعب وتنمو شخصيته الاجتماعية . فالحزب الذي يمثل تلك الشخصية الاجتماعية هو حزب الشعب حقا. واين هو اليوم من روحية العراق وعقليته ؟ نعم يمكن ان يكون حزب الشعب صادقا تماما في تركيا كما هو موجود اليوم. ويمكن ان يكون مشروع حزب الشعب عندنا في العراق ظهر بمظر العالم التركي الذي نشأت فيه

نفسيته وتمكن منه اكثر من الروح العراقي والعالم العراقي.
أما حزب التقدم فلا يمثل شيئا من عناصر الحركة العراقية سواء كانت حركة في العقول ام في النفوس فهو من العناوين الجذابة مثل حزب الاستقلال استعمل في منهاجه وفي عنوانه ما يستعمل من الترغيب والجذب في الاعلانات والمظاهرات، فهما حزبان فنيان صناعيان لا عنصران حقيقيان من عناصر الحركة في العراق .
هذا واني اريد ان اتلمس الروح الاجتماعي المبعثر في النوادي العراقية وامثلة تمثيلا تحليليا حتى يلمس الروح الاجتماعي في الجيل الحاضر كل من يهمه ذلك من القاصي والداني ، وسأتعاطى البحث من الوجهة السياسية والاقتصادية والادبية.
ما هي النوادي العراقية ؟ واذا اردت ان تعرف ما هي .. انهض انت ورفاقك وسيروا خلفي حتى نطوف على النوادي العراقية كما يسير صاحب الشخصية البارزة في العراق، فانه في الغالب لا يغشى النوادي منفردا بل تحف به عصابته او حاشيته حتى ان بعضهم يستأجر جماعة لهذه المهمة ومن هنا صار اظهر مظاهر الزعامة في العراق (خفق النعال) وراء المتزعم عند غشيان النوادي . اجل حفوا بي في الصباح والمساء وهما الوقتان اللذان تكتظ فيهما النوادي العراقية بالجلاس ويكثر فيهما حديث المجالس من كل لون وكل طعم . والنوادي العراقية في طرف النهار الاخير اعم منها في طرفه الأول .. تعالوا ندخل الى دار فسيحة فيها غرفة كبيرة شاهقة قد شيدت بالجص الذي سوده الدخان فهو جص اسود لامع، وقد قسمت جهة تلك الغرفة مما يلي الساحة الى (5) او (7) او (9) وغالبا ما تكون وترا لانهم يتشاءمون من الشفع هنا. وأمام تلك الغرفة بهو وساحة . يسمي العراقيون تلك الدار (ديوانية) ورياشها اما على الطراز القديم في الصيف حصر مستطيلة مسفوفة في البصرة او البحرين او في غيرهما من بلاد الساحل العربي ، وفي الشتاء البسط او السجاد الايراني والعراقي وفي زوايا المجلس واركانه مساند مبثوثة ، واما على الطراز الحديث وهو كراسي واسرة هندية او عراقية مصفوفة بعضها الى بعض . والديوانية العراقية غالبا على الطراز القديم، كما ان المعروف عندهم ان الوصفة الاولى ذات الحصر والبسط هي وصفة عربية تساعد عليها آدابهم المجلسية وبزاتهم والبستهم . في تلك الديوانية القديمة او الحديثة ترى الجلاس تساندوا وتكاتفوا ودارت عليهم اقداح الشاي وابارق القهوة ، هذا بين يديه النارجيلة وهذا بين انامله (السيكارة).
والوحدة في البزة والهندام مفقودة في الاندية العراقية، فترى النادي مشكلا وملونا بالجماجم المثقلة بانواع العقد بعضها طيات من الغزل كونت له (اطارا) ذا رفوف يسمى (عقال لف) كما انه غالبا ما يكون (عقال لف) ذا طيتين من شعر المعز الاسود ، او الصوف الابيض وبعضها مقصب بشرايط صفر، والجماجم المعممة بالعمائم المختلفة الطيات والهندام والوصفة . وجماجم عليها انواع الطرابيش والقبعات .
اما النوادي في القرى والضواحي فغالبا ما تكون فيها البزة واحدة وهي العقال ذو الطيتين والكوفية .. واذا سئمتم من الديوانية - خلافا لذوق العراقيين- الذين لا يسأمون مثل هذه المجالس المخدرة للاجساد المخيسة للعصب المنومة للدماغ والحس ، فهلموا معي الى المقهى، فديدن بعض العراقيين التنقل من الديوانية الى المقهى والتحول من فيّ الى في. والمقهى في العراق بناية وفي الساحة التي امامها سرر وكراسي مصفوفة وفيها مطبخ للبن وآنية للشاي المغلي واقداح للمرطبات وزجاجات النرجيلة وبعض الالات للمقامرة واللعب بالميسر.
هذه اهم النوادي في الحواضر العراقية، اما في الضواحي والقرى الزراعية المبثوثة على ضفاف الفرات واجراف دجلة فالنواي هي المضيف والربعة والصريفة تلك هي النوادي العراقية وقد جعلت المقهى ناديا للسياسة العراقية كما هي اليوم حديث الغالب هنالك ، والمضيف والربعة والصريفة ناديا للاقتصاد ،

والديوانية ناديا للادب.

---

(1)جريدة النهضة العراقية العدد 19 الاربعاء 21 ايلول 1927م 24 ربيع الأول 1346 هـ

- 2 -

(1)

النادي السياسي

ركبت سفينة شراعية من الطراز العراقي (بلم) مصعدا في الفرات من البصرة ، فعرجت في طريقي على ذي قار اور الكلدانيين، وعلى كيش وعلى بابل والكوفة والهاشمية والانبار وسألت عن موقع الحيرة . واستعرضت ذاكرتي الصور التاريخية المهمة لهذه العواصم والمدن الكبرى ، وما كان من شأن للفرات وأهل الفرات. وفي ليلة ذات اندية هب على سفينتنا اعصار وكان الفرات طاغيا فملنا بسفينتنا الى ساحل السلامة وعبرنا بواسطة ممر كان ممدودا بين الجانبين فنزلنا الى مقهى فاره على ضفاف الفرات في القرية المعروفة اليوم بقرية الكفل، سميت بذلك لانها تشمل على مزار مشهور فيه قبر النبي حزقيال ، الذي كفل اليهود . وهذه القرية تقع بين الحلة السيفية والنجف، قائمة على انقاض المدينة المعروفة بمدينة (بلا شكر) التي بناها احد ملوك الفرثيين في اوائل التاريخ الميلادي سنة 60 بعد المسيح كمحطة تجارية للبضائع المجلوبة من اقاصي بلاد الهند ودفعها الى الشام وبلاد اسيا الصغرى بل الى المغرب واوروبا ، كما كانت الخطط والمسالك التجارية في ذلك العهد. وكان ذلك المقهى في المكان الذي كان يعرف في العهد العربي (ببئر ملاحة) فوجدت مجلسا من اسرة اربعة تربع حديقة ،فتشطرت على احد اسرته وجاء علي باشا وجعفر بك وحسن افندي ومهدي جلبي، وبرغمي ان اجد هذا النبز التركي وهذه الالقاب التي جاءتنا من خانية مراغي وخانية فرغانة شايعة في هذه البلاد العربية، وقد تهافت عليها العراقيون حتى اصبح في العراق مليون بك ونصف مليون باشا ومليون ونصف افندي وجلبي، حتى ان ابطال العربية في وقت نهضتهم على الاتراك ومكافحتهم للروح التركية في ذلك الوقت كانوا يتصيدون النبز التركي ويضعون تلك القبعات على اسمائهم العربية فان اكثر بشواتنا وبيكاتنا جاءت من مواقف النهضة في الحجاز وسورية. ثم جاء السيد صادق والحاج كاظم والشيخ رضا والملا باقر ، فاستغربت في هذا النبز العربي في اللفظ الفارسي في الاسلوب والاستعمال. ورجعت بذاكرتي الى عصر الحضارة العربية في العراق وفي مصر وفي الاندلس فلم اجد اثرا لتلك الانباز والالقاب ، مما رسب في بلادنا من الاتراك والفرس .

وعمرت تلك النوادي بالسمر السياسي فالقيت المحاضرات، وتبودلت خطب سياسية بين الباشا والبك والافندي والجلبي والملا والشيخ والسيد والحاج، وذكرتني تلك الندوة بالفوضى السياسية الموجودة ي العراق فلا ترى في الامة الا سياسيا وسياسة حتى كان الجمهور العراقي والطرقات والمدارس وغرف المحاماة والثكنات العسكرية، فالبقال والفلاح ورجال العلم ورجل الدين والمحامون والضباط ورجال المال والحوذية وسوق السيارات كلهم سياسيين، وكل العراق موجات سياسية، وقد عم الطوفان السياسي حتى حانوت الجناز، وفار التنور سياسة. وقد تنوع الحوار السياسي في تلك الندوة :

من وجهة التاريخ السياسي .

ومن وجهة العقلية السياسية .

ومن وجهة الخطط السياسية.

التاريخ السياسي في العراق:

لم تكن قضية عراقية بادئ ذي بدء وانما كانت قضية عربية . والعراق مركز من مراكزها، وفيه طرف من اطرافها. فقد تعاطت مصر بطرف من القضية العربية منذ عهد محمد علي الكبير ، لعله هو باعثها الاول وتعاطت اليمن طرفا والرياض طرفا اخر، وذلك بحركات الوهابيين الاولى . كان ذلك في غضون القرن الثالث عشر للهجرة.

ويوم ذاك لم يكن في سوريا وفي العراق والحجاز والاستانة شيء من العمل للقضية العربية سوى تفلت الوهابيين على الحجاز، وصدمة المصريين لهم واخراجهم من البلاد المقدسة وقيام بعض المناورات من الوهابيين على طفوف العراق مما يلي الجزيرة وبلاد الضاحية مثل التعرض لكربلاء والنجف وظهر البصرة، ومثل المبارزات التي حصلت بين آل سعدون والوهابيين من عهد الشيخ ثويني الذي اغتاله احد الوهابيين الى عهد ناصر باشا الذي حمل بلمه عراقية على بلاد الاحساء واحتلها .

ثم دبت الحركة في الربع الاول من القرن الرابع عشر للهجرة الى سوريا والعراق والاستانة وتسرب الى تلك الانحاء أشياء كثيرة من المساعي السياسية. وبعد اعلان الدستور العثماني سنة 1908 م كانت مصر واليمن وسوريا والعراق وكتلة من الشباب العربي في الاستانة تعمل للقضية العربية . وقد شاعت الاحلام السياسية في تلك الاقطار. ولما اعلن الدستور العثماني في تموز1908 ميلادية كانت قد نضجت القضية العربية ونزعت الى نبذ التعصب الديني واعتناق الوطنية كايمان جديد. وكانت حركة فكرية قوية في الشبيبة العربية ترمي الى غايات سياسية واجتماعية تحت لواء الجامعة القومية ، وحبروا الفصول السياسية والمقالات الضافية في الجرائد وأخذوا بتأليف الجمعيات السياسية، فلعبت القضية العربية قبل الحرب دورا مهما ، وتشكلت بين اعلان الدستور العثماني وبين اعلان الحرب العامة جمعيات سياسية في الاقطار العربية اربع منها في الاستانة وهي :

1. جمعية الاخاء العربي تشكلت سنة 1909 والمشكل لها شفيق بك المؤيد وزملاؤه.
2. المنتدى العربي في سنة 1909 اسسه عبد الحميد الزهراوي وعبدالكريم الخليل وزملاؤهما.
3. الجمعية القحطانية تشكلت سنة 1909 شكلها خليل حمادة باشا وعبد الحميد الزهراوي وسليم النجار وزملاؤهما.
4. جمعية العهد وهي جمعية ضباط عرب اسسها عزيز بك علي المصري كشعبة من الجمعية القحطانية .

واثنتان منهما في مصر وهما :

1. حزب اللامركزية تألف سنة 1912 الفه فؤاد الخطيب ورفيق العظم وحقي العظم وعبدالحميد الزهراوي والشيخ رشيد رضا ،
2. جمعية الثورة العربية تكونت سنة 1914 بنتيجة اتفاق جمعية العهد بحزب اللامركزية وذلك بعد هروب عزيز بك علي من الاستانة.

واثنتان منهما في سوريا وهما :

1. الجمعية الاصلاحية ، اسسها في بيروت السيد طالب باشا (النقيب) سنة 1913 .
2. جمعية الفتاة العربية تأسست سنة 1913 .

واثنتان منها في العراق هما :

1. جمعية البصرة الاصلاحية اسسها في البصرة السيد طالب باشا (النقيب)سنة 1913.
2. جمعية العلم تأسست في الموصل كفرع من جمعية العهد لا يدخلها غير الضباط .

سارت هذه الجمعيات بخطط مختلفة ومناهج متعددة تتوخى غاية واحدة وهي انعاش القضية العربية حتى اعلنت الحرب العامة فانقصمت الوحدة، وانقسم المسعى ، وكانت مصر اول ما انشطرت واعتزلت بنفسها تنشد قضية مصرية، ثم اليمن. ثم تطلع جلالك الملك حسين ينشد وحدة او امبراطورية عربية تتألف من الحجاز وسوريا والعراق وشطر من نجد فكانت قضية سورية وقضية فلسطينية وقضية عراقية، واصبح الملك حسين ملكا على الحجاز فقط، وابن سعود سلطانا على نجد، وهنا ختمت قهوة الكفل على القضية العربية واتجهت الى القضية العراقية خاصة ، وقد اعتبرت مبدأ القضية العراقية تينك الجمعيتين .

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد 20 الجمعة 23/ايلول 1927 م 26 ربيع الاول 1246 هـ.

- 3 -

(1)

جمعية الاصلاح البصرية
وجمعية العلم

واذا عرفت قيمة تينك الجمعيتين واهميتهما ونفوذهما تعرف مبدئيا مقدار الجهود البصرية والفراتية ومقدار التضحية في سبيل القضية العراقية وهي في دورها الاول ، كما سنوقفك على جهود الفرات في سائر ادوار القضية. ذكرنا ان مستهل العمل السياسي في العراق جمعية العلم وجمعية البصرة الاصلاحية ، اما جمعية العلم فقد كانت فرعا لجمعية العهد المنحصرة في بعض الضباط العراقيين، ليس لها انتساب عام في العراق ولم يعتنقها العراقيون، فلم تكن لها قيمة سياسية كبرى، وكانت كمسألة عسكرية ضيقة الدائرة، ولم يكن في الموصل زعيم لتلك الجمعية ولا قائد للحركة بل هناك جمع من الضباط مثل مولود باشا (مخلص)الذي كان يومئذ الملازم مولود ومثل علي جودة (الأيوبي) ومثل المرحوم شريف افندي العمري ولفيف من الضباط .
ويظهر ان المرحوم شريف افندي كانت له معنوية الزعامة كما يظهر ذلك من مراجعاته وكتبه الى بعض المراجع المهمة في القضية العربية ، منها الكتاب الذي حبره في القاهرة الى سيادة الشريف حسين (جلالة ملك الحجاز) بتاريخ 27 محرم سنة 1334 هـ المثبت في كتاب مقدرات العراق السياسية، واليك نتفا من ذلك الكتاب ... قال بعد الديباجة:
" اتقدم الى دولتكم فاقول انا شريف بن محمد الفاروقي من الموصل، العضو الاول بجمعية العهد المتشكلة من الضباط ، واخيرا بجمعية الفتاة العربية وزميل ياسين بك البغدادي (ياسين باشا الهاشمي) الذي كان رئيسا لاركان حرب الفيلق الثاني عشر .. ابادر الى اخبار مولاي بانه في اثناء وجودي مع ياسين بك البغدادي في جمعية الفتاة بسوريا بلغني خبر نهضتكم وبعد الاطلاع وحدنا مساعينا وأحس جمال باشا بسريان روح الحركة العربية فكان منه ان حبس بعض اخواننا . اما نحن فبعد حبسي في حلب مقدار (15) يوما اصدر امره بارسالي وياسين وامين لطفي وعبدالقادر الى الاستانة وعقيب وصولنا اجتمعنا انا وياسين بك وقررنا ان يكتب ياسين بك كتابا لمركز الشام باننا عزمنا على الفرار من الاتراك الى الانكليز لنجعلهم طريقا للوصول اليكم ...."
والكتاب مسهب اكتفينا بنقل هذه الشذور منه لبيان ان لشريف افندي مكانة الزعامة في جمعية العلم كما يظهر من قوله انه العضو الاول ولبيان ان الجمعية الموصلية لم تكن جمعية شاملة وعامة للطبقات المهمة في العراق. اما جمعية البصرة الاصلاحية فقد كانت اولا عراقية قبل كل شيء لانها فرع او على اساس حزب اللامركزية، وقد كانت فراتية اكثر منها بغدادية او موصلية وكانت اقوى وافحل من جمعية الاصلاح البيروتية فقد انتشرت هذه الجمعية انتشارا هائلا في الفرات واعتنقها الفراتيون اعتناقا صحيحا ونما بذرها على شاطئ الفرات من ابي صخير الى شط العرب وحملت شعلها الطوائف المسلحة والفئة العاملة فكان الامير حمود امير ربيعة الجزائر والشيخ كباشي السعد وهذان زعيما المدينة والقرنة،وكان زعماء الجزائر مثل الشيخ سالم الخيون وزعماء سوق الشيوخ مثل زعماء بني خاقان وحطام وآل حسن والجويبر وفي مقدمتهم آل البعاج العلويون وزعماء الناصرية مادين الى عمائر الشطرة وفي مقدمتهم ابو المهدي السيد حسن السيد ناصر وزعماء الخضر وشيوخ السماوة وفي طليعتهم الفقيد الشيخ مبدر الفرعون، كل هؤلاء

يعملون للجمعية البصرية، وبهم استفحلت وقويت شوكتها وصار الاتراك يقدرون خطورتها حتى ان بعض الضباط العرب الذين لم يجدوا حماية لهم من كيد الاتراك لا في الاستانة ولا في سوريا احتموا بها فآمنوا واتخذوا البصرة وكرا لهم ، ومركزا لاعمالهم ، ومن جملتهم :

نوري (باشا) السعيد الذي كان يومذاك في غرة حياته السياسية التي ابتدأت في عام 1913 - 1914 وهي السنة التي اتصل فيها بعزيز بك علي المصري الذي كان يعرف بانه (بيت الفكرة العربية في الجيش) وابتدأ نوري (باشا) باعماله الممتازة اولا في (رابغ) من البلاد الحجازية حتى انتهت به الاعمال الى العراق واكثر ما استفاد واستمد باعماله من صديقه عزيز بك علي اولا ثم من صديقه الضابط البريطاني (لورنس).

هذا ما كانت عليه القضية العراقية وهذا ما استهلت به من الاعمال وانبثت الدعوة فكانت في البصرة على ما بسطناه لك .

وفي بغداد بدت حركة وعلى رأسها حمدي بك الباججي وفي الموصل كانت حركة ولكن لم يكن لها عميد فهي بث ودعاية اكثر منها اعمال. ولكن المركز الحقيقي للحركة القومية في العراق والمهد الاول للقضية العراقية هي البصرة، ففد كانت روحا منتشرا اوزاعا وباسطا على احرار القطر واقطابه، تذيع الدعوة وتنشر المناشير في كافة انحاء العراق وهي التي نظمت الحركة في بغداد فمدت مزاحم الامين وابراهيم حلمي العمر بالمال لتأسيس النادي الوطني العلمي ونشر جريدة النهضة في بغداد التي سدتها الحكومة التركية بعد صدورها بمدة، وفر مزاحم الامين الباججي وابراهيم حلمي الى البصرة وبقيا في كنف السيد طالب والجمعية.

انتهى الدور الاول من سير القضية العراقية وليس لاحد من زعماء القضية اليوم اصبع فيه على كثرة اصابعهم اللاعبة اليوم، بل كانوا قبل الحرب وفي غضون الحرب متفرقين في وحدات الجيش العثماني او محتمين بالبصرة وبمصر، واخيرا بالحجاز ، وبعضهم في طرابلس الغرب، وبعضهم على رأس وحدة من الجيش التركي الذي ذهب الى غاليسيا ، وبعضهم في الاستانة وبعضهم كان موظفا في الاناضول . ولما اشتدت ويلات الحرب وصرح الاتراك بالشر لبعض الضباط العرب فر نفر منهم الى الحجاز الثائر والتجأ من التجأ منهم الى الاسر بيد الانكليز ، ثم في ابان الهدنة تجمعوا على ابواب سوريا رغبة منهم في ايجاد حكومة عربية في سوريا تساند الحجاز وتكون مركزا مدنيا ، لان الحجاز بلاد مقدسة ذات صبغة خاصة وواد غير ذي زرع فقير معوز مملوء بالمحاويج فلا يمكن ان تتضخم فيه حكومة تستقبل المتهافتين من ههنا وههنا. ولكن فرنسا هدمت الامال والاعمال واعتبرت تلك اللملمة اغرابا عن سوريا او مثلما صرحت في بلاغها الرسمي : انها تعتبرهم كضباط حرب في جيوش الحلفاء قد انتهت وظيفتهم. وقد كان العراقيون بدأوا يحاسبون الانكليز في القضية العراقية ويتقاضونهم ما قطعوه من العهود والوعود والمواثيق فاتجهت الامال التي طردت من سوريا الى العراق، وهنا كثر الادعاء وتوفر الزعم واليك سير القضية في زمن الحرب :

هب العراق واستفزته الحرب الانكليزية والعثمانية فكان لصوت المدفع الاول الذي اطلق على باب العراق دوي هائل في العراق. ووجدت عند العراقيين حركة مزعزعة لم تكن لها صبغة خاصة وما كانت الا تهيئوا للحوادث وتهيئوا للطارئ الجديد . وكان يوم 13 تشرين الثاني 1914 هو اليوم الذي رست فيه السفن البريطانية تقل الجنود ورست عند فم شط العرب وفي يوم 15 تشرين الثاني اي بعد يومين اطلق المدفع الاول على قرية سيجان التي تبعد 4 اميال عن قرية سيبة شمالا ، وقد كان العراقيون يعتقدون خطورة الانكليز ووهن العثمانيين فتطاولت الاعناق الى البصرة. وفي خلال ذلك تتابعت دعاة العثمانيين وعلا استصراخهم بالعراقيين، لان العثمانيين في العراق لم يأخذوا الأهبة النظامية الكافية لهذه الحرب، وجيوشهم التركية التي يعتمد عليها في موقع مثل العراق قد تحسس اهله بقضيتهم اذا بحثوا عنها، فكانت في (فروق)

المنقطعة عن العراق من كل وسائل النقل الحديثة على بعد الشقة ين فروق والعراق. فحاول الاتراك اشغال الجبهة العراقية بالقبائل المسلحة والمتطوعة ريثما تستريح القيادة العامة من الخطط الكبرى والتعبئة والتموين فتوجه عنايتها الى خطة العراق ، وجعلت القبائل تسوف وتتثاقل ..

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد 21الاثنين 26 ايلول 1927 م 29 ربيع الاول 1346 هـ

-4-

(1)

وهكذا كانت الحالة.ولكن ابتدأت طلائع المتطوعة من العراقيين خصوصا الفراتيين تصل البصرة، الا ان الحرب عجلت عليها فتلقى العراقيون خبر سقوط البصرة بكل دهشة، وكان ذهولا ثقيلا على الافكار، ووجلا عميقا في النفوس . ووردت على انحاء العراق قوافل (البلط) الجنود الفارة يحملون كثيرا من المزعجات ، فخالط النفوس يأس وريبة ، وتشطر القلوب التشاؤم والتفاؤل، ورسخت عقيدة في العراقيين ان الحكومة العثمانية ادبرت ايامها وتلاشت في العراق، واخذ العراقيون يفكرون في خسارتهم وربحهم من الحالة العسكرية والسياسية الموجودة في طرفي البلاد فانقسموا الى عملين سياسي وحربي وكانت مؤامرات ومراجعات في (الشعيبة) وتحت اثلات البرجسية، كانت مواقعة ومناجزة حربية . وهكذا كانت الحالة في مزيرعة و أبو عمران حول القرنة وفي الشلوة والعلة على ابواب الاحواز، وكثرت المؤامرات في الشطرة وفي الناصرية وفي الشامية وفي النجف وفي كربلاء ، ولكن التربية السياسية كانت ضعيفة في نفوس العراقيين والحذق السياسي قليلا فلم تنجح اكثر الخطط السياسية التي وضعتها هذه المؤامرات، ولم تكن وحدة تامة بعد ان فقد المركز في البصرة وابعد الزعيم السيد طالب(النقيب) وكانت الافكار كلها متجهة اليه او الى المؤتمر الثلاثي الذي دائما يتشكل من السيد طالب والشيخ خزعل شيخ المحمرة وابن الصباح صاحب الكويت.

وعند سقوط البصرة كنت انا في الشطرة ، شطرة المنتفك، فسرحنا رسولا خاصا مزودا بتحارير الى السيد طالب لنتعرف الخطة والمنهاج الذي اعتزم عليه المركز ، وما اكبر الخيبة يوم آب الرسول مخبرا عن إبعاد السيد طالب، فكانت الحركة السياسية بلا زعيم ، يعوزها الدراية وتعديل الصفوف، وقد استفحلت عليها العصابات المسلحة التي كانت تشوش المسعى وتبعث على الفوضى . هذا هو العمل السياسي الذي كان في العراق في غضون الحرب . اما العمل الحربي فقد اعتزم العراقيون على اقامة مناورة حربية في استقبال الانكليز في العراق وقد سمعت احد النابهين من الزعماء العراقيين يحرض قومه ويقول :

(من جاد حربه حاد صلحه) ، وبناءا على هذا الاساس أبلى العراقيون في تلك المناورات البلاء الحسن ، ولكن ضباط الترك كانوا يدخلون الضعف والخلل على تلك المناورات . وأول مناورة قام بها العراقيون في الشعيبة ، فقد تطوع منهم 15000 مسلح مدفوعين بالحماس الوطني والشعور الديني، ولكن الضباط الترك الذين كانت لهم صفة القيادة لم يحسنوا ادارة هؤلاء فزلزلت الروابط ، وقل الشعور الودي نحو الضباط الاتراك ، وذهبت معنوية ذلك الجيش. وكانت مدفعية الانكليز قوية وحامية في الشعيبة وهي اضعاف اضعاف المدافع التركية التي كانت تتردد بين 15 - 20 مدفعا من الطراز القديم مع قلة في القنابل وجهل في تسديد الرماية . كل ذلك ولم يخسر العراقيون ثمة تلك المناورة الحربية فقد هجموا في 4 نيسان سنة 1915 على المواقع الانكليزية المحصنة في قصور الشعيبة ووقعت معارك دامية في الشعيبة، وفي غابة البرجسية خسر الانكليز فيها خسارة فادحة وكادوا يخسرون نتيجة الدفاع لولا ان القائد العسكري غلبت عليه لوثته التركية فانتحر وانفلّ الجيش وخسرت تلك المناورة بعد تضحية كبيرة . وكانت للعراقيين مناورات في جهات (صخريجة) شمال عران وفي مزيرعة وعلى الضفة اليمنى من دجلة وهذه المواقع الثلاثة التي وقعت فيها حرب القرنة، ومناورة على ابواب الاحواز طلبا للتقدم على شط قارون لتهديد الانكليز في شط العرب ،

والضرب في اقفيتهم. وقد اصطدمت الجموع العراقية بالقوات الانكليزية في اوائل شباط 1915 وربحوا تلك المناورة التي اضطرت الانكليز الي التقهقر في الميدان ، ولكن انسحاب الجيوش التركية في جهة صخريجة أثر على ذلك الموقف فاعطيت الاوامر الى توفيق الخالدي ، ومحمد فاضل باشا الداغستاني القائدين التركيين في تلك اللمة فانسحبوا . وكانت هناك مناورة في سايس حول الكوت ومناورات في باهيزة والبطنجة وام الملح بين الناصرية والشطرة ، وقد دامت هذه المناورات الرهيبة على ابواب الناصرية حتى سقوط بغداد وانتشر ذلك العبء الثقيل بعد ان انفل العثمانيون واختلت صفوفهم في الفلاحية .

وهنا انتهى الدور الثاني للقضية العراقية في غضون الحرب ، وهل سمعت بوجود احد من زعماء اليوم السياسيين وغيرهم اشترك مع العراقيين في تلك الويلات او المناورات الحربية والسياسية ؟ لقد كان العمل الاكبر والمساعي المشكورة للفراتيين دون غيرهم من العراقيين فكانت الزعامة الادبية والسياسية للنجف والزعامة الحربية لشيوخ الفرات والغراف وهم فراتيون في النعار والشعار . وعند سقوط بغداد جاء الدور الثالث للقضية العراقية وكان دورا سياسيا في الاكثر لم تكن فيه مناورة حربية الا القضية المرشالية في النجف وهي تلك المؤامرة التي دبرت في النجف حيث انتدب سبعة رجال من سواد النجفيين وفي مقدمتهم احد البقالين النجفيين (الحاج نجم البقال) وهجموا على محل الحكومة ومقر الجيش فقتلوا الحاكم السياسي (الكابتن مارشال) وجرحوا ضابطين من ضباط الاحتلال . وتشدد الانكليز في تلك الحادثة فتركوا المرونة والملاينة السياسية ولبسوا جلد النمر ورأوا ان اقل تساهل في تلك المناورة يخاطر بالموقف الانكليزي في كل العراق، فطوقوا النجف بخطوط نارية وخنادق واقاموا نطاقا عسكريا قويا عرف ب (حصار الحاج نجم) دام 45 يوما 22 منها انقضت بالمناجزة على البلد و 23 منها انقضت بالقبض على الرجال واستلام السلاح المنزوع .
وقد تأسست محكمة عسكرية في الكوفة حكمت بالشنق على 11 رجلا من المصيتين، وعلى ابعاد 200 نفر الى بلاد الهند كاسرى حرب، وابعاد نفرين الى بلاد الاحواز ، وليس في كل اولئك احد يمت الى متزعمي اليوم بصلة. قلنا ان هذا الدور كان دورا سياسيا في الاكثر واول وعد من وعود الانكليز السياسية التي تمسك بها العراقيون هو ما فاه به القائد مود اكبر شخص بريطاني ذي صلاحية في العراق، وذلك في منشوره الذي نشره في 19 اذار سنة 1917 . ثم التصريح الذي اذاعته الشركات البرقية عن وزير خارجية فرنسا من انعاش الامال السياسية للشعوب الضعيفة في البلاد التي انقطعت عن تركيا ، وانعقاد حكومات قومية، ومؤسسات وطنية . وهكذا اخذ الناس يستبشرون بتلك العهود ويسمعون المواثيق التي قطعت للملك حسين وقد عقدوا الامال وعلقوا الاماني الكبيرة على مساعي البيت العلوي في الحجازويتمرغون بانشودة الرئيس ولسن ذات ال 14 مقطعا . ولكن اول صدمة صدمت بها الامال العراقية المنشور الذي تلاه على اهالي بغداد القائد العام لجيوش الاحتلال السر وليم مارشال عام 1918 إثر عقد الهدنة مع تركيا فقد جاء في جملة خطابه لاهالي بغداد انكم تذكرون كلمات القائد مود الذي لم يجد فسحة في عمره لانجاز الوعد فقد وضع الاساس وبقي علي اتمام البناء، ويمكننا ان نبين ان الوعود التي اعطيت مرارا يجب ان تنجز في فرصة ممكنة ، وها انا ابلغكم بما يأتي كعربون في الوقت الحاضر يدل على نوايانا الحسنة :

1- يسمح لاسرى الحرب من العراقيين بالعودة الى اوطانهم.
2- تطلق الحرية للتجارة وتخفف التضييقات في داخل الاراضي المحتلة.
3- يخفف الضغط والتضييق على العمل الشخصي.
4- يسمح بنقل الجثث التي يراد دفنها في كربلاء والنجف بشروط مناسبة.

5- تفتح الطرق للزيارات في الاماكن المقدسة.
6- تعطى جائزة وهي راتب شهر للموظفين من الاهالي في دوائر الحكومة الذين قاموا بوظيفتهم حق قيام .
7- ينتخب بعض المسجونين ويطلق سراحهم.
8- يوزع طعام والبسة على فقراء بغداد والمدن الاخرى.
وختم كلامه بقوله : (ايها السادة لا اجد عندي ما اقوله غير ذلك) . وقد صدم آمال العراقيين هذا المنشور لأنهم من هذا العربون عرفوا مقدار القيمة والثمن الذين سيكون باستقلالهم الممنوح.

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد 22- الاربعاء28 ايلول 1927 م 1 ربيع الثاني 1946 هـ (؟؟؟)
(2) تتحدث عن حصار الانكليز للنجف الشيبة والمذكرات والكتب والصحف بانه كان قاسيا دام اكثر من اربعين يوما. قاوم فيه احرار النجف الانكليز واستبسلوا في صمودهم وقدموا قافلة شهداء الثورة الذين أعدمهم الانكليز إضافة إلى نفي اكثر من 200 مئتي زعيم وقائد ومكافح .
تم تنفيذ حكم الاعدام بالثائرين وهم :
-1الزعيم كاظم الصبي 2- الزعيم عباس علي الرماحي 3- علوان علي الرماحي 4- كريم سعد الحاج راضي 5- احمد الحاج سعد الحاج راضي 6- محسن الحاج سعد الحاج راضي 7- عبدهم سعيد 8- محسن البو غنيم احد قتلة الكابتن مارشال 9- الحاج نجم البقال، زعيم الحادثة 10- مجيد بن مهدي دعيبل 11- جودي ناجي .
شنق هؤلاء في شريعة الكوفة (الجسر) في العشرين من شهر شعبان 1336 في خان علي حمزة نصر الله .
أما المبعدون (المنفيون) فمنهم من الوجوه ورؤساء الاطراف فقد نفوا الى الهند وبينهم من الوجوه والزعماء:
1- الحاج عطية ابو كلل 2- كردي عطيه ابو كلل 3- الحاج سعد الحاج راضي 4- مغيظ سعد الحاج راضي 5- راضي الحاج سعد الحاج راضي 6- محمد ابو شبع 7- تومان عدوة 8- عبدالرزاق عدوة 9- مصلط حبيب الحار 10- سعيد حبيب الحار 11- مهدي حبيب الحار .
اما الذين نفوا الى عربستان (المحمرة) من العلماء فهم :
1- السيد محمد علي بحر العلوم 2- الشيخ محمد جواد الشيخ احمد الجزائري.

-5-

(1)

وتوالت الصدمات على آمال العراقيين وبالاخص الفراتيين فكانت ضربة النجف في صميم الفراتيين خصوصا ،وقد عاد المئتا نجفي المبعدون الى بلاد الهند وهم مشاعل للنهضة والقصاص، فكان هذا وكان منشور الهدنة وكان النز ع من النظام العسكري الى النظام الملكي . وقد اختلفت حالة الفراتيين في الدور العسكري الانكليزي والدور المدني الانكليزي اذ كان الدور العسكري اخف وطأة على الجمهور العراقي من الدور المدني الذي احسوا فيه بثقل الوطأة ، فجاء النزع من هذا الى ذاك ثقلا كل الثقل، وكانت السياسة الحالية فيه ثقيلة والجباية المجحفة التي قام بها الميجر ديلى ورفاقه في الفرات الاوسط والكبتن بوكلي ورفاقه في العراق، وكانت روح الحاكم المدني العامل الكرنل ولسن روحا عسكرية شديدة في الادارة والنظام، وكانت شركتا روتر وهافس كلاسك تنقل نور الوطنية وكهرباء القومية من بطارية اوروبا ومصر وتركيا فتنور افكار العراقيين ،وكانت كمنبر عال يلقي علينا دروسا سامية في الوطنية والقومية . واخذ الناس يستأنسون بانباء الحركة القومية في الحجاز وسوريا ، فكان العراقيون ثائرين بالروح وكثر الهمس وانعقدت المؤامرات السرية في الفرات والنجف وكربلاء واشتركت بغداد والكاظمية وتشكلت جمعية الدعوة الاسلامية وجمعية الحرس ، فكان المركز كربلاء والنجف والفرع في بغداد والحلة والديوانية والمنتفك . وقد انتشرت الدعوة وتمكنت الروح في طول الفرات وعرضه ، واحس الانكليز بوقع اقدام العاملين وتشبثوا بحل العقدة ومعارضة المسعى فكانت طيارة الحاكم المدني تحوم على ربوع الفرات هنا وهناك ، وانبث رفاقه وموظفوه في انحاء الفرات وفي بلاد المنتفك والغراف لاستفتاء الشعب والاطلاع على طويته وخباياه وجس نبضه. ومن جهة اخرى عمل على عقد ندوة من بعض الشخصيات البارزة الذين ظن فيهم انهم يخدرون الشعور العراقي ويقدرون على جذب الشعب المستشيط، ووكلهم ظاهرا بتعديل القانون البغدادي ، وباطنا بسط اليهم رغبته في مقاومة الروح العراقية، وبعثرة تلك الآمال . واخذ يغالط الشعب فيمنيه بتشكيل مجالس بلدية تكون ذات سلطة. ولكن تلك التدابير كانت كمن يريد اطفاء التنور المسجور بقطرات من الماء، وظلت الثورة تترعرع في الصدور ، ولما اراد العاملون ارسال شرارتها دقوا الاجراس فقامت مدن العراق بالمظاهرات والاحتجاجات فتململت كربلاء، وتموجت بغداد ، وصرخت النجف، وتحمس الفرات، فانفلتت الثورة وكانت نارا وسلاحا.

والذي يدلك على ان تلك الثورة فراتية وانها ترعرعت في الفرات ان السياسة الانكليزية كما تشددت للعاملين وارادت ارهابهم نظرت الى المواطن المهمة لتلك الحركة فمدت يدها اليها. وأول ما تعرضت للديوانية فنفت جماعة وفي مقدمتهم الحاج مخيف وتعرضت لكربلاء فنفت عدة زعماء، وتعرضت للحلة والرميثة وهنا

حرشت النار فطارت شرارة الثورة الاولى من الرميثة. وقد تعرضت السلطة لاشخاص في بغداد كانوا فراتيين في المبدأ ولاجل ذلك لما فروا من وجه السلطة كان اتجاههم نحو النجف وهناك بدت جل اعمالهم. وعلى الفرات ظهرت مواهبهم فقد وصل النجف عدد من الضباط توزعوا الاعمال في نقاط الثورة وانبثوا في الكوفة والحلة وكربلاء والسماوة، ووصل النجف جماعة من قادة الرأي العام في بغداد واطرافها كالشيخ السويدي والشيخ يوسف وكثير غيرهما .

كما ان صدمة الثورة التي قام بها الجيش المجلوب من الهند جلها بل كلها كانت في الفرات، اللهم الا مواقع في ديالى ،فقد وقع التماس بين الجيشين الانكليزي والمتطوعة من الفراتين الثائرين من الناصرية الى المسيب فكانت مواقعه في ضواحي الناصرية وفي ناحية الخضر بين الناصرية والسماوة وفي السوير بين السماوة والرميثة وفي الديوانية وعلى ابواب الحلة وموقع الوند بين المسيب وكربلاء وفي الرارنجية بين ناحية الكفل والحلة وفي الهندية (طويربج) وفي الكوفة. ولم تكن مواقعه في غير هذه الاماكن من العراق الا في ديالى. حتى ان طريق الامداد من البصرة الى بغداد كان منقطعا من جهة الفرات وقد قلع الثوار كل الخطوط الحديدية في تلك الانحاء وخربوا جسورها وكان طريق النجدات تصعيدا على دجلة فقط ، كما ان نتيجة الصدمة كانت على الفراتيين خاصة ، فقد شبت النار التأديبية في اكثر القرى الزراعية في الفرات من حوالي الحلة والهندية والكفل والكوفة وابو صخير والشامية وفي طول المشخاب وعرضه، وقد استبيحت بعض النواحي واستبيحت الكوفة والسماوة ، وقد جرد الفرات كله من السلاح وقد اكتظ سجن الحلة بزعماء الفرات ، وقد ابعدت السلطة من النجف الزعيم (جواد) الجواهري وفي رفقته لمة من اهالي النجف .فهل فر احد من الشبكة وزهق خارج العراق الا الفراتيون اولئك الين ذهبوا مهاجرين الى الحجاز ولم يكروا الى العراق الا بنجاح القضية العراقية، وهل حملت الباخرة التي اقلت جلالة الملك فيصل من الحجاز غير الفراتيين؟ ولما وصل الركب العالي الى البصرة لم يستقبل بالاستقبال اللائق بكرامته وكرامة القضية العراقية ، بل كاد يكون الدخول الى البصرة خلسة. لكن الفراتيين قاموا بالاستقبال الفخم والمظاهرة الكبرى مما دل بوضوح على ان الروح في الفرات. واتصل المتظاهرون كسماطين الى النجف تلك المدينة التي قامت وقعدت في المظاهرة وحسن الاستقبال بحفاوة وجلال.

كل وجه وموجة من سرور ومن الله في القلوب اشاره

كل بيت وفيه شعلة نور اوشكت ان تضيء حتى الحجاره

كما ان النجف اول مدينة قامت بالدعوة والدعاية للعرش العراقي ولشخصية صاحب االجلالة، فهي المدينة الوحيدة التي وقف أبناؤها امام الضابط الإنجليزي المتشدد الحانق (رينكت) فجاهروا بطلب حكومة وطنية ديمقراطية يراسها احد انجال الشريف ، وهي المدينة الوحيدة التي نظمت الدعاية الخارجية بهذا الطلب. ومن هذا التنظيم قيام الشيخ رضا الشبيبي في حمارة القيظ مطوحا بنفسه في ذلك الدو الموحش، جزيرة العرب ،نافذا من العراق الى الحجاز بالأوراق و الوثائق التي نظمها الفراتيون . ولما تقررت البيعة لمليك البلاد بالتصويت العام لم تنتظر النجف وتقول ذلك من وظائف المؤتمر التاسيسي بل اندفعت. ولم يكن التصويت تصويتا عاما حقيقيا الا في النجف و الفرات وهما اللذان جاهرا بتلك البيعة ، وقد اتهموا في بثه السيد طالب وذلك الاتهام هو السبب الذي جعل مؤتمر مصر الذي تشكل تحت رياسة تشرشل يتخذ قرار ابعاد السيد طالب عن العراق وعن السياسة العراقية . ولما احتفل الفراتيون بيوم التتويج ورأوا رمز امالهم الوطنية المقدسة في ذلك التاج اتجهت الأفكار الى المؤتمر التأسيسي الذي يفرغ الشكل المرغوب فيه للحكومة الوطنية ويضع القانون الأساسي ويحدد الصلات بين

العراق و بريطانيا ، وقد سبقت المؤتمر احدى وظائفه وهي تعيين الراس للحكومة العراقية، وبه تعين شكل الحكومة. وقد تم ذلك بالتصويت العام الذي نوهنا لك عنه وبقي القانون الأساسي وتحديد الصلات ، فنظر الفراتيون في روحيات الإدارة العراقية ووجدوا ان السلطة ليست بيد الوطنيين فخافوا على مقدسات البلاد من عقبى هذا الانتخاب الذي سوف تُخفق الحرية في اكثر مناطقه ويتلاعب في طرقها الانتخابية ، فاشترطوا لذلك الانتخاب شروطا يراد بها توسيع الحرية للشعب وتحديد السلطة التي يخشى منها مهاجمة الحرية في مواطن الضعف . ولكن الحكومة لم تنزل على رغبة الفرات . فكان جهاد او عناد سياسي بين الحكومة وبين الفراتيين فأعلنت النجف مقاطعة الانتخاب ولبى الفرات تلك الدعوة فاصر على المقاطعة وقام بمظاهرات في هذا السبيل وأمطر العاصمة بألوف من البرقيات ترفض الانتداب . ومن هنا ابتدأت العاصمة بمفارقة الفرات و الفراتيين وتشددت في اجراء الانتخاب فهددت جماعة و أبعدت جماعة من المتنورين وقادة الراي و تصلبت مع الروحانيين وابعدت الشيخ الخالصي عن العراق فتزلزل الفرات بهذا الحادث وقامت النجف وقعدت واعتزم الروحانيون الذين هم في النجف على المهاجرة من العراق احتجاجا على ما قامت به الحكومة .وتنكرت الحلة في استقبال الركاب الملكي الذي قام بجولة سياسية في دجلة والفرات عن طريق العمارة فالبصرة والناصرية فالديوانية فالحلة . وقد سفر الشيخ (محمد مهدي) الخالصي بعد ان انطوى المهم من تلك الجولة السياسية وكان ذلك التسفير خلسة ولما اتضح امره كان الركاب الملكي قد بلغ الحلة وكان موكب الروحانيين في طريقه الى كربلاء مصعدا على كربلاء وانقلبت المسألة وصارت المهاجرة تبعيدا.وقد ضمت الحكومة جماعة لم يكونوا بالحسبان، فعجلت على ذلك الموكب صباحا في كربلاء وعشية وراء الحدود ولم يعرج بهم على بغداد وادعت بذلك التعجيل اتقاء الفتنة. وبين اللطمة واللكمة جرى الانتخاب للمؤتمر التاسيسي ووضع ذلك المؤتمر بين مظاهرات الشعب وتموجاته القانون الأساسي الذي رايته مطبوعا صفحة بلغة عربية و صفحة بلغة كردية فقلت هذه اول ظاهرة للوحدة العراقية. وصاغ المؤتمر قالبا خاصا للانتداب سماه محالفة ومعاهدة الند للند في (18) مادة اثقل ما جاء فيه الاتفاقية المالية والعسكرية . ثم سجلت الحكومة البريطانية وعدها بإعادة النظر في هاتين الاتفاقيتين . وجاءت للمعاهدة ذيول وذيول وكان اجلها أولا(20) عاما ثم وضع بروتكول خفضها الى (4) أعوام ثم اقترحت عصبة الأمم عند البت في قضية الموصل ان تكون المدة (15) عاما و للمتعاقدين حق إعادة النظر فيها كل اربع سنين . تم كل ذلك و الفرات غير مرتاح من بغداد التي شمخت عليه متزعمة في وضع الخطط الخارجية والداخلية ،غير معنية برأي الشعب ولا مصغية الى صوته في مصير البلاد وحالتها الراهنة ولا ملاحظة القابلية الاجتماعية والقدرة الاقتصادية ، فعم الاستياء وتضعضع الناس من أمور عديدة.

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد 23-الجمعة 30 أيلول 1927، 3 ربيع الثاني 1346

(2)صدرت الإدارة الملكية في 19 تشرين الأول 1922 بتأليف المجلس التأسيسي ليقرر: دستور المملكة وقانون انتخاب مجلس النواب والمعاهدة العراقية االبريطانية .

وعلى اثر صدور الإرادة الملكية بتأليف المجلس التأسيسي ظهرت أحزاب المعارضة تدافع عن حقوق الشعب وتقف وقفة صلبة إزاء القوانين الجائزة بحق الشعب .تأليف ثلاثة أحزاب سياسية هي :

1-الحزب الوطني العراقي :

برئاسة جعفر ابي التمن وهو استمرار لجمعية حرس الاستقلال وهو يدعو الى المحافظة على الاستقلال ومؤازرة حكومة العراق الملكية الدستورية والدفاع عن وحدة العراق .

2-حزب النهضة العراقي :

برئاسة امين الجرجفجي :وهو يدعو الى الاستقلال في ظل حكومة عربية ملكية دستورية ديمقراطية تعمل على إقامة وحدة وطنية عراقية .

3-الحزب الحر العرقي :

برئاسة محمود النقيب وهو يدعو الى تأييد وزارة النقيب باعتبار ان رئيسه هو ابن رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب وقد ايد الحزب عقد معاهدة التحالف مع بريطانيا .

-6-

(1)

وهنا نورد اهم الأمور التي استاء منها الاهليون:

1- يرون ان الحكومة أصبحت مجدة لطرح الضرائب على الشعب الفقير بدون رفق ولا شفقه.

2- اكثر الموظفين الإداريين فاقدون للصفات الاجتماعية فهم كقضاء على القضاء الذي يكونون فيه او اللواء او الناحية.

3- الاهتمام المفرط في مطالب الحكومة عند الشعب والتسامح المخل في مطالب الشعب عند الحكومة.

4- التضخم في الرواتب والتوسع في التشكيلات والهزال في مشاريع الإصلاح و التقتير في البذل عليها.

5- عدم إيجاد مستوى عادل للتأسيسات و التشكيلات في جنوب البلاد و شمالها ، فبينما نجد المدينة في الجنوب لا يوجد فيها الا مدرسة أولية نجد القرية في الشمال وفيها مدرسة ابتدائية.

واقل من ذلك المؤسسات الصحية في الفرات من الهندية و الكوفة وابي صخير والشامية وغماس و الشنافية و عفك والرميثة والسماوة والخضر وسوق الشيوخ وقضاء الجبابش والقرى المبثوثة. فاين الاعمال التي قامت بها وزارة المعارف في تلك القرى المنغمسة في الامية ؟ وأين الاعمال التي قامت بها مديرية الزراعة بالأمس ووزارة الزراعة اليوم ؟ تلك المؤسسة الضخمة التي لم يشعر بها الا المسؤولين، واما الفرات فلم يستشعر بها و باعمالها ، وهكذا الغراف الاعمى . أصبحت البلاد الجنوبية وبلاد الفرات تعتقد انها ليست بمستوى واحد مع البلاد الشمالية ، بل في اعتقادها ان البلاد الشمالية منذ حين من الدهر عيال على البلاد الجنوبية وبلاد الفرات .

اصبح الفراتيون يرون ان بغداد تريد ان تصبغ الحكومة العراقية بصبغة خاصة في الداخل وفي الخارج وتضع عليها طابعا خاصا فاختطت لها خطة تقضي ان يكون قسم خاص من العراقيين حاكما موظفا دائما وبكل صورة ، والقسم الاخر محكوما دائما بكل صورة ، واستأثرت بالسلطة حتى أصبحت الحكومة العراقية تكاد تكون ليست حكومة شعبية . بل ديكتاتورية بنوع واسع .

تحسست البلاد بهذه الشؤون و تأثر بهذا الحس بعض نواب الامة وكان المجلس في دورته الثانية فتجمعت كتلة من أولئك المتأثرين بحس البلاد وقاموا بمعارضة وان كانت شديدة ولكنها حقة ورشيدة . ان كتلة المعارضة وان كانت قليلة العدد ولكنها تساندها الأكثرية الساحقة في البلاد ويساعدها الساعد العامل والقوي وقد اصطدمت بالوزارة من يومها الأول تحديا لصالح

البلاد. والمعارضة واجبة وضرورية في حياة الدولة الدستورية ، وبدونها فالنظام يشبه النظام الاستبدادي الواسع. وقد صرحت المعارضة من اليوم الأول انها لا تجد في هذه الوزارة الائتلافيه ائتلافا في المبادئ والاذواق والموضات السياسية. ان هذه الوزارة وان كان رئيسها محبوبا من بعض العراقيين ، غير انها تشك في ائتلاف بعض الأعضاء معه. وربما اثرت تلك الأعضاء على مقررات المجلس الوزاري . فحادثة النصولي بكل الوانها وكل ذيولها ومناورات المدير والوزير في ديوان المعارف وحادثة الكاظمية (وشراشيبها)وحتى مسالة التجنيد الاجباري مع وضع البلاد الراهن (وان كان جاءت في منهاج الوزارة)، و ترقيع الوزارة ذلك الترقيع الذي جاء رغما لرغبات المخلصين ، كل ذلك نعتقد ان الذوق السياسي و النفسي اللذين عرفناهما من فخامة العسكري لا يتقاربان معه، ولكننا نشك في بعض الاعضاء ، ونشك في اصابعهم. والوزارة ما عدا وزير المعارف الأسبق الذي ودعه الناصري بقوله المشهور (ولم يتلعثم)متضامنة ولكن نعتقد ان لبعض الشخصيات قوة تغلب . من الوان التأثير ما يظهر في بعض لهجات الصحف والاقلام المستأجرة التي تسمعها الحكومة ومديرية المطبوعات من اول يوم حدثت فيه حادثة النصولي الى اليوم ،والحال ان الحكومة ومديرية المطبوعات تعرف تماما مغزى تلك الأقلام او مرمى تلك الحراب التي عرف الله سوءها فسود راسها وتعرف أي تبنة تغمر واي كبد تقرص كل ذلك حفر هوة واسعة بين الوزارة وبين الأكثرية الساحقة في البلاد . فالبلاد مستاءة و متأثرة و رازحة تحت ثقل من الامال والالام ،تنتظر نتيجة السياحات والاجازات والمفاوضات .وفي الحقيقة انها بفارغ الصبر تنتظر انعقاد الدورة الثالثة للمجلس.

---

(1) جريدة النهضة العراقية-العدد-24-الاثنين 3 تشرين الأول،1927 ، 6 ربيع الثاني 1346

-7-

(1)

العقلية السياسية في العراق وروحيو الحركة

انتهت محاضرات الكفل في تاريخ القضية العراقية سياسيا و تطلعت الندوة قليلا للاستراحة ، فقدمت النارجيلة والقهوة للشيخ والشاي للملا والسيكارة للافندي و وزجاجة الناملیت للبك وزجاجة الصودا للباشا وخرجوا الى القاعة ثم دق الجرس فعادت قهوة الكفل حامية في المذاكرات عن العقلية السياسية في العراق و روحية الحركة .واليك خلاصة مداولاتهم:

ان روحية الحركة في العراق تنقلت في مراكز ثلاثة : ففي الأول كانت عرفية طبقا للتقاليد العربية و البدوية العشائرية ، ثم مالت الى النزعة الدينية ، ثم اخذت بالاتجاه المدني .فقادتها في الأول الشيوخ و الزعماء وفي الدور الثاني المعممون والروحانيون وفي الثالث المتنورون والفئة المتجددة.

كان التململ السياسي في العراق يولد ثورات موقعية و انتفاضات على الحكومة العراقية قبل الحرب . فيوم مشاجرة سلاحية في النجف ويوم في كربلاء ويوم في السماوة ويوم في سوق الشيوخ ويوم في الناصرية وفي الشطرة وفي العمارة او حواليها وفي كل الاقطاعيات الزراعية على ضفاف الرافدين ، فكانت الحال مزعزعة وكانت العشائر افرادا وشيوخا تقوم بالانتفاضات والتغلب لاقل تململ من السياسة . وفي العراق شعب من اصلب الشعوب ، شديد الشكيمة ذو نخوة وغرام يولد الحوادث و يبلو فيها البلاء الحسن ، والضغط هو النافخ الوحيد الذي يجعل الثورة نارا ثاقبة.

ثم ودع العراق هذا الدور البائد ودخل في دور جديد لم يتبينه العراقيون أهو دور شباب وقوة أم دور هرم وانحلال ؟ وحقيقة هذا الدور ان السياسة اخذت تميل الى النزعة الدينية . وذلك ان المتجددين من العثمانيين أولا ثم العراقيين ثانيا ، لما أرادوا تنظيم المسعى و الانتفاع بالراي العام السائل في المجاري الدينية فتشوا عن جامعة للشعب العراقي تخدم منفعتهم ويؤثر نفوذها فلم يجدوا احسن من الجامعة الدينية التي يتعصب لها العراقيون وتؤثر عليهم تأثيرا بالغا ولم يتمسكوا بالوطنية او القومية لان العثمانيين كانوا يومذاك على تخفيف سورتها واضعاف اثرها لان استفحالها ليس من صالحهم.

ولأجل ذلك كانت التربية الوطنية والقومية ناقصة في العراق العثماني فأوجد الترك هذا الدور السياسي الديني في العراق بعد نشر الدستور ، واخذ المرخصون من مركز جمعية الاتحاد والترقي يترددون بين الاستانة والنجف وبين بغداد والنجف وكذلك بعض ولاة الاتحاديين كاحمد جمال باشا وبعض المتصرفين كصائب بك وحمزة بك وغيرهم من الموظفين الإداريين يترددون على النجف ويدبرون بعض المناورات السياسية ثم جاءت الحرب فاشتدت الحاجة الى النزعة السياسية الدينية فما سقطت بغداد الا والسياسة في أحضان الروحانيين والراي العام العراقي السائل يصب في مجاريهم وذلك نتيجة المظاهرات والمناورات التي كان يقوم بها الأتراك والنفخ الذي ينفخونه ، ولو كان الاتجاه السياسي يومذاك نحو المتجددين و المتنورين من الفراتيين لربح الفرات أرباحا سياسية جمة ولم تكن الوضعة كما هي اليوم . ولكن جاء الإنكليز والنعرة الدينية مستفحلة والشعور الديني في هياج والدعاية التركية متمكنة من النفوس لترضي رجال الدين الذين عملوا على اذكاء تلك الثورة على الإنكليز الذين دهش رجال سياساتهم في الخارج من هذا الطارئ في العراق الذي لم ينتظروه منه ولم يفسروا الحركة تفسيرا صحيحا بل ضربوا اخماسا باسداس وتوهموا البلشفية في العراق وبعد ان صدموا الثورة بقوة اسكتتها واخضعتها ، درسوا الحالة فعرفوا انهم بسيادتهم الحزبية اوجدوا لهم أحزابا معارضة في العراق وهي:

حزب الافندية

حزب الروحانيين

حزب الملاكين

اما الافندية فلأنهم قوم معاشيون كان لهم الخبز و النفوذ من الإدارة العراقية وقد نحاهم الانكليز وملأوا بهم زوايا الخمول والبطالة.

اما الروحانيون فانهم متشبعون بالتعاليم الدينية وقد تمكنت منهم الدعاية التركية التي صورت لهم ان الإنكليز أعداء دينهم ، ولابد ان يتعرضوا لتقاليدهم و شعائرهم.

اما الملاكون فان الإنكليز بعنايتهم السياسية في الطوائف العراقية زمن الحرب وانبساطهم لابن الريف و انكماشهم عن ابن الحواضر مكنوا الفلاح العراقي من سلب حقوق الملاك حتى شعر بانه تحرر من تلك السلطة التي تسمى ملاكية. وصادف ان النزع والانتقال من الدور العسكري الى الدور المدني كان عنيفا فكان ثقيلا على العراقيين وكان اللازم على الانكليز ان يتبصروا في ذلك النزع والانتقال الذي كان اللازم فيه ان يتم ببطء و توءدة وعلى ايدي خبراء سياسيين قد عرفوا تمريض الشعوب وترويض الاقوام ، لا ان يتم ذلك الانقلاب الإداري الكبير وتقوم سياسة الانشاء و التأسيس على ايدي ضباط عسكريين ذوي شراسة ولوثة ، انتقلوا من الخنادق الى الكراسي الإدارية فساروا في الناس سيرة خشنة ، وساقوهم سوقا عنيفا ،وصبوا التكاليف الثقيلة عليهم دفعة واحدة (كما تفعله حكومتنا اليوم) فكانت الترتيبات الإدارية كأوامر العسكر جبرية لا تقبل التحويل والتبديل . وهكذا جفل الجمهور العراقي و استقبلته الأحزاب المعارضة فنفخت فيه روح الثورة.

استنتج الإنكليز هذه الحقائق فمشوا نحوها بسياسة جديدة و نصبوا هيكل الحكومة العراقية واحسن ما دبروا فيه انهم ارضوا حزب الافندية واطلقوا يد الملاك فتركوه يتصارع مع الفلاح واعرضوا عن الروحانيين وقرروا ان التفاهم السياسي لا يمكن مع حزب العمائم لانهم بعيدون عن السياسة ، ومبادئهم بعيدة عن مبادئها. وان كان لديهم شيء من السياسة فهي ضعيفة و اكثرها اقتراحية .واخذ حزب الافندية يذيع ان الإنكليز قد بنوا سياستهم الجديدة على أساس الانضمام الى حزب الأقلية لان هذا الحزب يلتزم اليهم و يلتصق بهم دائما ليكثر بالسلطة نفوذه ، فتستوي الحالة في العراق .

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد-25-الأربعاء 5 تشرين الأول 1927، 8 ربيع الثاني 1346

-8-

(1)

نعم انتهت الثورة و السياسة لم تبتعد تماما عن الروحانيين ، ولكنهم صدموا فيها صدمة كبرى . وجاءت الحكومة العربية ولم يمكنها أولا الابتعاد عن الروحانيين وهي بعد في الخطوات الأولى. وبقيت بغداد تساير النجف و تواربها زمن القلاقل و التموجات السياسية . ولما ارادت الحالة ان ترسخ في العراق اختلفت بغداد مع النجف في بعض منعرجات السياسة و ملتوياتها ، فقضت بغداد باعتزال النجف عن السياسة فاعتزلت ، وقبعت في زاويتها حتى ان الوضعية السياسية في العراق قضت بتجريد النجف وكربلاء من كل علاقة فيما بينهما. وجاء لواء كربلاء غريبا في الوضع الإداري لأنه عبارة عن مدينة كربلاء والنجف ونفس قصبة الكوفة .وبقي الجانب المقابل لقصبة الكوفة لمدة من الزمان يراجع الديوانية . فكان البقال الكوفي و الفلاح الكوفي يراجعان الديوانية التي تبعد عنهم عشرات الاميال. وكان المزارع الذي في شواطئ النجيفة او في بحر النجف وبيته وزرعه في النجف لكن مرجعه الديوانية . وبلاد العيون التي هي غرب النجف تراجع الديوانية، كل ذلك رغبة في حمل الروحاني على أن يختار العزلة ويسد باب داره فلا يختلط بالاهلين كانه في فلك وهم في فلك . وحتى ان أفكار الإداريين الكبار مجمعة على تصويب الراي القاضي بجعل الكوفة لواء و بواسطة ذلك تقصد الحكومة الاستغناء عن لواء كربلاء ولواء الحلة ولكن الذي يمنع ذلك هو اتصال النجف بالكوفة كما يظن المفكرون.

وهنا ودع العراق الدور الثاني وهو الدور الذي كان السياسيون فيه هم الروحانيين والسياسة تشرب من حوض الدين وتسبح مع مبادئه . وجاء الدور الثالث وهو دور انحياز السياسة الى الفئة المتجددة فاصبحوا يعالجون السياسة من جهة فنية .وصارت السياسة تعتمد على التقاليد القومية اكثر من اعتمادها على غيرها أي اخذت السياسة تمشي بين صفوف العراقيين بلا عكاز وعاد الاختصاص فيها اكثر من الادعاء وابتعدت عن الفلاح العراقي الذي طالما شلت حركته الاقتصادية ولزته في مواقف حرجة كما انها ابتعدت عن الروحانيين الذين هم أصلاً بعيدون عنها لانهم لم يمارسوها ولا عرفوا شيئا من دروسها.

وقد جرب المتجددون السياسة الخرقاء التي مثلها الشيوخ ، شيوخ الطوائف ، والطريقة العرفية التي كانوا يتعاطونها قبل الحرب كما انهم لمسوا بأيديهم فشل السياسة الضعيفة الاقتراحية الجامدة التي كان يقرطس اليها السياسي الروحاني فأصبحت الفئة المتنورة تتعاطى السياسة المستقلة عن هؤلاء وهؤلاء ولكنها ليست قاسية وعنيفة كالسياسة البغدادية التي اخذت تسحق هذين الحزبين وتميل عليهما من جهة ، كما انها تميل عنها من جهة. كلا بل تستغل الراي العام من هذين الحزبين وتتمون برغبتهما بمقدار ما تستطيع من تلطيف مشاربهم وتحويل اتجاههم او التوفيق بين بين ...

الخطط السياسية:

نزلت الفئة المتنورة من الفراتيين الى ميدان السياسة ، فجاءت الى البيدر وارادت ان تعرف الحاصل من الزرع السياسي في كل هذه المدة. وبعد التمحيص لم تجد شيئا حقيقيا في العراق الا رموزا ثلاثة:

رمز الوحدة العراقية ورأسها المفدى سيدنا صاحب الجلالة.

ورمز الآمال ورغباتهم في القانون الأساسي .

ورمز الاستعانة بالاختصاص والمشورة الثمينة الحليفة المعظمة.

فأرادت اتخاذ خطة رشيدة تعزز الرمزين الاولين وتستفيد بالرمز الثالث ، وحملت بذورها الى الحقل فوجدت اشواكا وادغالا تعيق النمو وتقلل الحاصل، ووجدت الروح مبعثرة، والروح المبعثرة لا بد وان يعمل على لمها للاستفادة منها بالبعث أولا ثم بالتطوع الشخصي. وانت ترى اليوم الشخصيات المتطوعة تعمل هنا وهناك فلم يبق الا العمل الاجتماعي وهو على الأبواب . واذا جاء العمل الاجتماعي تجئ السكة لتلك الاشواك والادغال فتقلع جذورها من الحقل وتسوي الأرض وتحرثها حرثا .ان روح النظام في كل دائرة من دوائر العراق اللهم الا (دائرة الشرطة ودائرة البريد) وكل خطة من خطط احزابه عرضة للانتقاد وذلك لما لحقها من الامراض المزمنة التي دخلت العراق مع الاتراك الغرباء وربما علقت جراثيمها في افراد العراقيين فأورثتهم سقما في الاخلاق وانحرافا في النظر. فكم تعثر ذلك النظام الغريب في العراق و فشلت تلك الخطط في كل العهد التركي، وأخيرا في العهد الإنكليزي والعهد العربي . تروح خطة وتجئ خطة، ويجرب مشروع بعد مشروع، وقد فشلت كلها على وجه الاجمال حتى صارت الخطط العامة مثل المأمورين تختار فتنضب وتختبر فتعزل .كل ذلك لنقص في التطبيق بين العلم والعمل ،ونقص في الاخلاق . وكان التركي ومثله الموظف العراقي اليوم لانه بقية الترك الأدبية وتركهم في العراق يأتي بنظريات وكليات حشى بها دماغه من المدرسة واصبح يريد ان يراها تمشي بين يديه على ضفاف الرافدين بدون درس في التطبيقات .ومن هنا يجئ الفشل والارتباك ولم يعرف ان المدارس انما تسلم خريجها المفاتيح ليستعملها في فتح الأبواب . والعمل كل العمل على ما يجده في داخل البيت لاعلى المفاتيح. ولكنه يغفل عن ذلك فيظن ان المفاتيح هي الكل في الكل فيفشل ، وعند فشله لا يفتش عن موطن الضعف في العمل فيفحص و يطبق بل يتصلب وتربأ به نفسه لانه خريج مدرسة ، ومن هنا يجئ الضعف في الإخلاص .

واني بقوة هذه التطبيقات وحسن درسها العملي اجادل الذين يقولون ان التربية الإدارية في الفرات انقص منها في غيره لان الفراتيين لم يتهافتوا على دخول المدارس في العهد التركي وتهافت غيرهم . وحجتي ان التطبيق والعمل الخارجي اصدق من النظريات بدون تطبيق .فان تلك النظريات لها قيمة ذهنية وليس لها قيمة خارجية ، وان الفراتيين يحملون من العراقية اكثر من غيرهم أولئك الذين لا يحملون الا أدبية تركية وفنا باليا. فالفراتيون هم الاهل الخلص واما غيرهم فلا غناء عنهم أيضا ولكن ليسوا هم الكل في الكل.

---

(1)جريدة النهضة العراقية-العدد 26-الجمعة 7تشرين الأول 1927، 10ربيع الثاني 1346

-9 -

(1)

اغرب من ذلك ما اسمعه من قصيري النظر وقليلي التغلغل في أحوال البلاد ان الفراتيين قد نحوا عن الإدارة منذ سبع مئة سنة فلا يمكن ان يعودوا اليها في عام واحد . وهذا رأي مردود وسببه الجهل بتاريخ الفرات فان الاتراك انما فتحوا وحكموا وتمكنوا في بغداد واعالي دجلة وبلاد الشمال .اما الفرات فكان يدار بإدارة اهليه عربية من عرب العشائر و تقاليدهم ، ولم يدن الاتراك من الفرات الا في القرن الثالث عشر للهجرة ،على انهم لم ترسخ اقدامهم فيه تماما الا في القرن الرابع عشر . فعمر السلطة الرسمية للأتراك في الفرات قرن ونصف ،وعمر السلطة الحقيقية ربع قرن او ما يزيد عليه قليلا.

نعود الى الموضوع الذي شطحنا عنه قليلا فنقول: يجب الدخول الى كوخ الفلاح العراقي وحانوت التاجر العراقي وإدارة الموظف العراقي و التمشي في الطرق العراقية والتجول في القرى والضواحي والتقاط مواد ونقاط من تلك الأماكن تضم الى طائفة من النظريات المدرسية وتضع خطة عملية تطبيقية .ويمكن ان اصرح وأقول ان الفراتيين هذه هي خطتهم التي تتقول عليها بعض الافواه انها مبهمة من جهة وسلبية من جهة ثانية ولا غضاضة من مقابلة هؤلاء المتحاملين ، فقد تعود المخلصون هذا التحامل من أولئك النفعيين في الدور التركي والدور البريطاني ، وهاهم يقومون بعملهم في الدور العربي واقسى ما تحامل به أولئك النفعيون على خطة المخلصين من الفراتيين ان قالوا انها خطة انفصال وانفصام للوحدة العراقية (لا سمح الله)وان الفرات يتمخض بفكرة اللامركزية . كبرت كلمة تخرج من افواههم .ليت الثرى ملأ تلك الافواه حتى لا تتشدق، وليت الرغم مرغ تلك المعاطس حتى لا تشم الباطل ، وليت الجذام قطع تلك الاقدام حتى لا تسعى بالمخلصين هذا المسعى . يدعون انهم حزب حكومي ولم يعلموا انهم اخروا الحكومة بهذا الانتساب لان الامة تعرفهم فلا ترضى لشرف الحكومة ان يلتز بها أولئك النفعيون سماسرة الغش ومطايا الباطل .

ان الفراتيين كيف يدعون إلى اللامركزية وتلك الدعوة غالبا تكون نصيب الأقلية. والفراتيون هم الأكثرية الساحقة وهم اليد العاملة والساعد الأقوى ،فهم اهل المركز، فكيف يطلبون الانفصال عن انفسهم ؟ وادباء الفرات الذين ينعون الوضعية السورية كما في جريدة النجف . فكيف ينعونها هناك ويتغزلون بها هنا ؟! والفراتيون هم الذي ضحوا تلك التضحية في سبيل الوحدة ملتفين حول العرش الهاشمي العلوي ،وهم حاضرون لتلك التضحية في كل وقت فكيف يتجاسر النفعيون ويرمونهم بتلك القسوة؟ فليعلم الملأ في الخارج والداخل ان الفراتيين اشد تمسكا من غيرهم بالعرش العراقي، واكثر التفافا حوله ،كما ان الفراتيين لا يناصبون رجال الوزارة الحاضرة العداء في شخصياتهم ،فان اكثر تلك الشخصيات من الشخصيات البارزة في العراق

ومن القادة ،ولكن الاختلاف كل الاختلاف في الخطط ،والمعارضة معارضة اعمال لا معارضة رجال . ومن سموم أولئك النفعيين صبغ الحركة القومية والاحلام الإصلاحية للوطن بصبغة دينية ونزعة طائفية وذلك للحط من قيمة تلك الجهود. والحال ان الامر ابعد من زعمهم وتهجمهم فان المسألة ذات خطة وطنية وإصلاح قومي تقوم به كتلة من النواب لهم خطة ولهم مرسوم ، واليك شيئا من أحلام الفراتيين لتعرف منها حبهم وصيغة خطتهم.

جاء المتجددون من الفراتيين فوجدوا القضية العراقية تستوجب الاستخفاف، ووجدوا البلاد عرجاء تمشي على رجل واحدة فكانت خطتهم ان تنهض البلاد وتمشي على قدميها معا.

جاؤوا فوجدوا الحركة العراقية طافية تتلاعب بها أمواج الحوادث تململا وتضعضعا من الإدارة التركية قبل الحرب ، وصارت هزازا ومناورات مدبرة في زمن الحرب ، وبعد الحرب صارت فذلكة سياسية وتجربة . فخطتهم ان تنجح التجربة ولا تفشل فتمس الحاجة الى تجربة أخرى.

جاؤوا فوجدوا السير الموجود خاليا من الإدارة ، لا يتم الانتفاع به . فخطتهم جعل روح في السير ، وجعل إدارة في القضية . وتلك الإدارة وتلك الروح هما صدق النظر وصدق العمل .

جاؤوا فوجدوا الجامعة الوطنية امرا شعريا واختراعيا في العراق ، فخطتهم ان الوطنية العراقية لابد وان تكون ميزة حقيقية طبيعية ذات اثار مادية وادبية.

جاؤوا فوجدوا العسر المالي الذي يشكو منه الفلاح الفقير والتاجر الثري . جمود مالي في الأسواق والسياسة ، وسياسة مالية ثقيلة في الدوائر اثرت كمودا في الألوان وركودا في الحركة الاقتصادية فخطتهم سير الأمور المادية العراقية كالاقتصاد والزراعة والقابلية الاجتماعية ، وعلى مقدراتنا يقوم بناء حكومة وطنية منطبقة على حالة العراق بحيث ينتعش بها المزاج وتتحملها الحالة الاقتصادية . خطتهم التمشي والا فان التوثب يسقطنا لا محالة.

جاؤوا فوجدوا ارقام الميزانية الضخمة بالنسبة الى ثروة العراق الهازلة، بالنسبة الى ما تتطلبه المشاريع والمؤسسات وسياسة الانشاء في العراق وجدوا الميزانية (58) مليون روبية يصرف خمسون منها تقريبا على الرواتب الضخمة والوظائف المستحدثة ، و(8) منها تقريبا على الانشاء والتأسيس . فخطتهم العمل على قطع هذا النزيف فان الثروة هي الدم الذي يتمشى في عروق البلاد فاذا داوم هذا النزف تستصفي الامة دمها. وليس الإصلاح فقط هو في تقليل الوظائف وتنقيص الرواتب فتلك هي الطريقة البائدة وانما الإصلاح بصرف مقدار من الميزانية على موارد البلاد وفتح مشاريع جديدة وإيجاد مصادر غنية للرزق والقيام بمؤسسات وانشاءات حتى تكثر الاعمال وتكثر الايدي العاملة فيتحرك الدولاب الاقتصادي في الحقل والسوق والمدن والطرقات ، والإصلاح الوحيد هو جعل الميزانية تعمل على تموين الميزانية.

جاؤوا فوجدوا الأحزاب والجرائد والاقلام مشغولة بالمبارزات الشخصية ، هؤلاء يطعنون في اقفية أولئك ، وهذا يمس كرامة ذاك مما دل على نقص في التربية السياسية وضعف في الروح الأدبية ومرض في الاخلاق ، وهذا مما يشين سمعة البلاد في الخارج ويحط من أهميتها ..وجدوا جريدة نداء الشعب نداء اشخاص ، وجريدة العراق لا تمثل العراقيين بل تتحيز الى فئة، وجريدة العالم تمثل عوالم، والنهضة فيها نهضة على بعض العراقيين ،وجريدة الاستقلال

التركية بالأمس ، العربية اليوم تعمل لهدم الاستقلال بالتفريق و التمزيق ،واما الزمان فكل العراقيين يعرفون أحوال الزمان.

وخطتهم – خطة الفراتنيين - ان نتبارز بالخطط السياسية ونتجادل عليها فتقرع الحجة بالحجة وتحلل المواضيع وتلتمس الفائدة بأقلام نزيهة وبراهين عملية لا بالثرثرة والهذر فتفوز الامة وتفيد البلاد وتكتسب هيبة أدبية تجعل لصحافتنا مكانة في الخارج . وهنا انفض الاجتماع في قهوة الكفل وانتهى النادي السياسي.

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد-28-الأربعاء 2تشرين الأول،15ربيع الثاني 1346

-10-

(1)

النادي الاقتصادي

خلص القوم نجيا وارفض اجتماع قهوة الكفل وانتهى ذلك السمر السياسي فنهضت اريد النجاء من السياسة والسياسيين واذا انا بحي من احياء الفلاحين قد طوى بيوته وحزم اثاثه البسيط وجعلها حمولة على ظهر البقر والجاموس وجعل مديته في عدول (طروق) على ظهور حمر صغيرة دهم وسود كما هي في حمر القرية الزراعية غالبا ، والنساء قد شددن حيازيمهن بحبال من ليف وعلى ظهر القلب منهن كيس فيه طفلها وبيدها قبضة من صوف ومغزل فهي تسوق الماشية وتغزل بصوفها وتقص على صويحباتها ما اصابهم من قلة في الحاصل ، وهبوط في السعر وثقل في السياسة المالية ،وضغط في الجباية. تلك الكوارث التي شاهدها حيهم في هذا العام .

سالت عن ذلك الثقل الذي يمثل حركة الطرق والقوافل في عهد النبط في العراق فقيل انه حي من احياء العراقيين النازلين في قضاء قلعة سكر، قد أصبحت جداولهم مائتة ، قلت بركة نهرهم ،وثقلت عليهم وطأة الحكومة في جباية هذا العام فهجروا الوطن وتفرقوا في العراق لتعاطي بعض الاعمال الزراعية التي غالبا لا يتعاطاها الفلاح المقيم المستغني بخصب ارضه وجودة حاصله وانتعاش الموسم ،بل يتعاطاها الفلاح السائب الذي اضطره العوز للقيام بتلك الوظيفة الموقتة مثل (الحصاد) ، ونقل الزرع من الواحة الى البيدر والدياسة والتصفية.

الغراف ذلك النهر المبارك والراوي الممتد في عرض العراق ونهر الصلة بين الفراتيين الذي طالما مونت حاصلاته الوفيرة مدن الفرات من طريق الناصرية وبلاد دجلة من طريق الكوت ، وطالما كانت لحاصلاته حصة كبيرة في صادرات العراق، قد اصبح مواتا وأصبحت احياؤه سائبة، وقد بحت الأصوات في مناغاة الحكومة بطلب إصلاحه الذي هو طرف مهم من إصلاحها. وكلما قامت به الحكومة من حركة الإصلاح هي مناورات ومظاهرات لا تعرف شيئا من الجد والاعتزام . تلك الحركة والتخاطف لسيارات المهندسين ، وخط اللنشات ،واخذ مقاييس الارتفاع والانخفاض ،كل ذلك لم ينتج الا سدا من تراب يصبونه في احد فرعي الغراف (البدعة)حتى يتجه الماء الى الفرع الثاني –شط الشطرة- وقت الزراعة الشتوية ورفع التراب ليجري الماء في فرع البدعة وقت الزراعة الصيفية .تلك العملية الصبيانية التي تعمل على موت الغراف باسره من جهة اصلاح بعضه موقتا، وذلك لان ماء الغراف يحمل كثيرا من الغرين و الطمى من دجلة. ولذلك سميت الناس الغراف (الشط الأحمر) والبدعة هي البز الذي يجذب ماء

الغراف وتقول التقديرات ان 80% من ماء الغراف وقت الفيضان ينصب في البدعة و20% ينصب في شط الشطرة . اما وقت شحة الماء فكل النهر يتدفق في البدعة ويجف شط الشطرة . هذا اثر البدعة في الغراف فاذا سدت فتر جريه فيكثر الرسوب من تلك الطينة الحمراء فيطم النهر كما انه بدأ يظهر اثر ذلك وهو سنام كبير من ذلك الراسب في وسط الوادي مسافة (9)ساعات . ووقت رفع سد البدعة يكون قد هبط الماء كثيرا وقل جريه فلا يقدر على جرف ذلك الراسب . الشكوى من صدر الغراف ، ومن عدم توزيع الري بينه وبين شط العمارة، والقوم يبحثون في الذنائب فما احراهم بقول القائل:

شكونا اليه خراب السواد فحرم فينا لحوم البقر

وان فعلتهم هذه تشبه فعلة تلك الجارية النوبية الرعناء وضعت ولدا فأرادت ان تخضب قدميه ولكن الطفل اعول واشتد في الصراخ فأخذت منديلا وشدت على فمه ليسكت حتى تخضب قدميه فهي قد اماتته من راسه وخضبته من قدميه. نعم سكت ذلك الطفل سكتته الأبدية ، ومثله الغراف:

سكت النهر موحشا لا خرير الماء فيـه ولا رفـيف الشـراع

في غـبار الضيـاع كـفنـت آمالي فأدرجن في غبار الضياع

ما حياة الفلاح في كنف الغراف الا مـوت طـويـل النـزاع

كجـروح في جسـم ميـت كـريـم السواقي ما بين تلك البقاع

اسـفا بعـد ضـجـة الـطـير فـيه اصبح القطر ضجة للرعاع

رأيت ذلك الحي وذكرت ما كان من الشأن والنباهة للغراف والغرافيين فجمدت جمود الذاهل ونلت الأرض بأنملي كأني اخط صفحة محزنة في فلسفة التشاؤم ، او قصيدة افرغ فيها شيئا من ظلمة النفس وذكوة الفؤاد. فما اثقل تلك الهواجس ! وما امر تلك الوحشةّ! وتبعت الحي حتى جاء وجعل تل(نفر) المستطيل في ظهره وضرب خيامه وعرس تلك الليلة في ذلك المكان . وفي اخريات الليلة انتبهت وكان صدري كمواقد الحي تتجدد فيه النار من وقت لآخر فتأملت ذلك الحي وقد تشطرت رباعه:

نشر السرح عندما استسمل الليل وزاد الصدى وغنى الراعي

عـرشوهـا على الخـمائل باهـت كـوة القـصر زاهيات الرباع

ناوحـتها الـرياح وانعطـف النهر عـليـها وابـهـجتها الـمراعـي

نـشر البـدر وسطها شبـك النـور فـكانـت كـقـبة مـن شـعـاع

شامخـات القـصور فاتـك منـها عينة اللطف حشمة في اتضاع

أهـتـزاز الـنـور الـنـدي صباحا فـوقـها ام مشـاعل في التـلاع

وعند وصوصة القبرة وتنوير القمم بنور الفجر شبت نار القرى في (مضيف) عميد ذلك الحي، وقد احتبى للرواق شيخ الحي وجاء السيد فسانده ثم تفسحا للحاج فكمل ثالوث مقدس محترم من الشيخ والسيد والحاج ، وانعقدت حولهم حلقة من الثناء بينما اخذ الفلاحون والسراكيل ينفرون الى تل (نفر) ويتحدثون في عمران العراق الغابر وخطورته الاقتصادية في عهد (نفر) و(وركاء) و (السونكرة) أي (لاراشام) . واذا اردت ان تعرف موضع (نفر) فاصحر في الجزيرة الواقعة اليوم في ظهر الحلة السيفية بين فرات السماوة وسقي دجلة والغراف . تلك الجزيرة التي تشبه مخيما مشتبك الطنب في سهل واسع او كسطح البحر الهائج من كثرة تلك التلول المنحنية لجلالة الازلي القديم ، والطلول التي استسلمت خاشعة للحدثان : صوامع العظمة وقبور المجد ودار الاثار العراقية. ومن جملة تلك الاثار هناك نهر قديم يسمى نهر (النيل) وهو خليج كبير يأخذ من الفرات . وهذا الخليج كان يعرف عند الاقدمين بنهر (نرس) وعرف بالعهد الإسلامي بنهر (النيل) والذي وضع له هذا الاسم هو الحجاج بن يوسف الثقفي . وعن هذا النهر ذكر بعض المخططين ان عمود الفرات كان يجري بين (برس)و(نرس) وبرس هي مدينة (بارسيا)التل المعروف بين الحلة والكفل (تل برس) وعلى هذا النهر تقع مدينة(نفر) او (نيبور) وهي اشهر مدن بابل تكاد تكون واقعة في منتصف الطريق بين اورك وبابل .ويظهر ان(نفر) كانت آهله في عهد العباسيين .وعمرت الندوة ندوة المضيف بالحديث الاقتصادي في الفرات واليك مجمل ما ألقي في ذلك النادي الاقتصادي من خطب .

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد 29- الجمعة 14تشرين 17ربيع الثاني 1346

-11-

(1)

الفرات أبو البركات

من الكلمات المأثورة عن السلف ان الفرات أبو البركات ودجلة ام الموات . وفي هذه الرسالة تجد شرع هذه الكلمة . اذا نظرنا الى العراق من الحد الى الحد وجدناه من حيث الري الزراعة ينقسم الى اربع مناطق : منطقة البلاد الشمالية وهي التي تقع بين خط الحدود الشمالية من بلاد أرمينيا وديار بكر(امد) وماردين وبين هضبات ايران وجبال حمرين وجبال سنجار وهو القسم الذي يشمل على حوض دجلة الأوسط وتوابعه وهي المنطقة التي تسقى بعلا وبواسطة الامطار في الغالب.

والمنطقة الثانية بلاد الجزيرة وهي الخط الواصل بين الغرب من سنجار وقرية القائم الواقعة على الفرات الأعلى شمالا والخط الواصل بين سامراء و الرمادي على الفرات جنوبا والبلاد الواقعة على يمين دجلة شرقا.

والمنطقة الثالثة بلاد الشامية وهي بلاد الضاحية والطفوف الواقعة بين ساحل الفرات الأيمن والخط السياسي الذي يبدا من القائم الى شمال الكويت .وهاتان المنطقتان لا زرع فيهما غالبا واذا وجد بعض الزرع في قسم من المنطقة الثالثة فبواسطة العيون التي كونت هناك بلاد العيون او كما يسمونها بلاد القصور ، وهاتان المنطقتان هما في الغالب مراع للغنم ومغال للابل تتجول فيها عشائر العراق البدوية .

والمنطقة الرابعة هي حوض دجلة والفرات من جنوب سامراء –الرمادي- الى الخليج العربي ،وهذه المنطقة هي العراق الزراعي وبركات حوض الفرات فيها أوسع واوفر واكثر.

نهر الفرات وروافده:

بداية نهر الفرات تتكون من نهرين يسميهما الاتراك قبلا (نهر مراد) وهو الذي نسميه اليوم (الفرات الغربي) ونهر (قوه صو) وهو الذي نسميه اليوم (الفرات الشرقي). اما نهر مراد فهو من عرقين ينبعان من الجبال الكائنة بالقرب من بايزيد من ارضروم واما نهر (قوه صو) فينبع من جبل العليا في محل يسمى (كبان معدني) وهناك يمتد ناب الفرات ويجئ الى ملاطية فينحرف نحو الشرق مقاربا منابع دجلة ويجتاز من غرب دياربكر الى (رامد) ثم يلتوي بين الغرب والجنوب ويعرض على ارض سوريا ويدخلها من (جرابلس)، ثم ينعطف على مسكنة

ثم ينحرف فيغور في واد سحيق نافذا الى دير الزور فميادين فأبو كمال ومن هنا يدخل أراضي العراق السياسية ويصل قرية القائم، وما بين دير الزور والقائم يجري في أراض منبسطة يمكن ان تسقى وتزرع ويتصل في هذه الأراضي باعظم روافده وهو نهر الخابور . وللفرات روافد كثيرة عدا المذانب ومسيل الوديان واعظم تلك الروافد نهر الخابور ووادي هوران . وتكثر عطفات الفرات وتعاريجه بين القائم والمسيب. والأراضي التي على جانبيه هناك تنقسم الى قسمين قسم منها مرتفع وهو يمتد من قرية القائم الى قبيل قصبة الرمادي ،وقسم منبسط وهو يمتد من اعلى قصبة الرمادي الى المسيب . يصل الفرات قرية القائم في الغرب من عنه وينساب شرقا فيمر ب(عنه) وهيت فالرمادي ويلتوي نحو الجنوب الشرقي فيهبط المسيب . وفي جنوب المسيب تقف في مجراه(سدة الهندية)، وسنوافيك بشيء عنها . وهناك ينشطر الى شطرين يتجه كلاهما نحو الجنوب تقريبا ثم يميلان الى الجنوب الشرقي احدهما يسمى (الهندية) وهذه تجئ مارة بقصبة (طويريج) او كما يسمونه (قضاء الهندية) فناحية الكفل وتحت هذه الناحية تنشطر الهندية الى نهرين عظيمين (شط العباسيات) ويسمى أبو كفوف وأبو شورة وهو يمر بناحية الهور وقضاء الشامية وناحية غماس والصليجية (الهاشمية) والصلاحية فيصب في هور الشنافية والشطر الثاني من الهندية نهر الكوفة وهو يمر بقصبة الكوفة وقضاء (أبو صخير) وبناحية الفيصلية فالمشخاب ومنه يصب في هور الشنافية ثم يتدافع هور الشنافية فيتكون منه نهر يسمى العطشان. يجري في الجنوب الشرقي فيلتقي بشطر الفرات الثاني الذي انشطر عنه عند سدة الهندية ويميلان معا الى السماوة .

وهذا الشطر الثاني للفرات هو شط الحلة يمر بالحلة ثم ينساب وينشق لسانه ، فشق منه شط عفك والدغارة والشق الثاني شط الديوانية فالرميثة ،اما شط عفك والدغارة فيتوزع في المزارع والاهوار ويستهلك هناك وقد كان قبلا يصب في الشط (الكار) الواقع بين فرات الدغارة وسقي الغراف ولكنه اليوم يستهلك فلا يمكن ان يصل الكار الا باعمال هندسية وربما يكون هورا ويسمى هور عفك او هور (كريسيع)، واما شط الديوانية فيمر بقرية الحمزة ثم بقصبة الرميثة ثم يتشعب في واحات الأرز وبعده يلتقي بالشطر الثاني من الفرات قبيل السماوة فيؤلفان مجرى يمر منحنيا بين الجنوب والشرق ويجري بين يدي السماوة فناحية الخضر فالناصرية ثم يتجه نحو الشرق مع ميل طفيف الى الجنوب الشرقي فيمر بقصبة سوق الشيوخ وهناك يتوزع انهارا تصب في هور الحمّار او بطيحة الحمّار . وعلى الفرات المتبطح قصبة المدينة ، مدينة بني منصور. وقبيل القرنة يقترن الفرات المتبطح بدجلة المتوسعة فيكونان شط العرب وهناك لا يبقى عنوان لدجلة والفرات . وفي عصر الكلدانيين الأولين كان الخليج العربي داخلا في البر نحو مسافة أربعين ساعة عما هو الان ، وكان الفراتان يندفعان الى البحر متوازيين غير متحدين ولم تختلط مياههما الابعد ذلك بألوف السنين . ولا نعرف متى اختلطا ومتى حدث شط العرب ولكني وجدت ذكرا لشط العرب في القرن الخامس الهجري وذلك في رحلة ناصر خسرو العلوي الفارسي . وطول الفرات تقريبا 1780 ميلا ومعدل ما يجري فيه من الماء في الثانية مقياسا من قرية هيت 100000 مئة الف قدم مكعب في وقت النزول .

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد- 30-الاثنين17تشرين الأول1927، 20ربيع الثاني 1346

-12-

(1)

مجاري الفرات وخلجانه

ان التحول والتنقل في مجرى المياه ومهابطها امر طبيعي وذلك بسبب الطمى والغرين الذي تنقله المياه ويرسب تدريجا في مجاريها ورواضعها ، ولم تكن دجلة ام الموات الا لانها تحمل كثيرا من تلك المادة الرسوبية التي سميت دجلة الحمراء .فانهار دجلة دائما تعمى وتطم بتلك المادة فتموت سريعا .

والفرات ينقسم الى ثلاث مناطق: الأعلى والاوسط والاسفل .فالفرات الأعلى ،وهو الذي ينتهي بالمسيب، واد ينساب في أرض جبلية ومتون مرتفعة في الغالب فالتحول في مجراه قليل. والفرات الأوسط وهو ما بين المسيب فالناصرية وما اكثر التحول فيه وفي مجاريه. والفرات الأسفل هو فرات الناصرية وسوق الشيوخ وهو البطائح تكون فيها خور فصار شطا ونحن لا نوسع البحث فنذكر مهابط الفرات في عهد البابليين اوفي عهد النبط (الفرثيين) او في عهد الساسانيين ، ولكننا نذكر مهابطه في العهد العربي فنقول : كان الفرات يسد نابه مارا (كوثي) ثم مال به وبقي نهر كوثي يسمى بالفرات العتيق وجرى بين (برس) وهي برسيا المعروفة اليوم ببرس نمرود وبين (نرس) وهو نهر النيل الذي يتفرع من (المحاويل) ثم انحرف قليلا واخذ يصب في نهر الحلة الذي كان يعرف بنهر (سورا) حتى سنة 1208 هجرية حتى جاء النواب اصف الدولة بهادر يحيى خان الهندي وشق الشط المعروف ب(الهندية) نسبة الى هذا النواب الهندي. وقد كان هذا المجرى نهرا ضيقا فوسعه وصيره شطا وكان قصده بذلك العمل سقي النجف واجراء الفرات حول تلك المدينة ، ولكنه دوين الكوفة اخفق مشروعه –قيل لأمور هندسية وقيل لأمور سياسية- ومن ذلك اليوم صار تحت المسيب يصب في شعبتين شط الحلة وشط الهندية ،بل اصبح عموده يصب في الهندية وانقطع الماء عن نهر الحلة في اكثر أوقات السنة، وصار لا يركبه الا وقت الفيضان حتى أقيم ذلك العمل الهندسي الخطير –سدة الهندية- وقد كان الفرات واسع السقي فمن الجانب الأيمن كان يتغلغل في الجزيرة من بلاد العرب حتى يسقي مدينة القادسية . قال الرحالة ابن بطوطة:

" نزلنا العذيب ثم نزلنا القادسية حيث كانت الوقعة الشهيرة على الفرس وكانت القادسية مدينة عظيمة افتتحها سعد ثم خرجت فلم يبق منها الا مقدار قرية كبيرة وفيها حدائق النخل وفيها مشارع من ماء الفرات ..." انتهى كلام ابن بطوطة). ومن الجانب الايسر فمزارعه على الأبواب –أبواب بغداد بل وفي بغداد...

قال ياقوت الحموي في معجمه: "سقى الفرات كورا ببغداد..." انتهى كلامه.

واليوم يجري نهر الخر ويمتلي هور عقرقوف بماء الفرات فتزرع بغداد على ماء الفرات وكانت الواحة الزراعية تباري دجلة من بغداد الى واسط ومن تحت واسط تباري الغراف ثم يلقف نقطة الغراف ويمتد فراتا الى شط العرب. واليك مجاري النهر العظيم الكبرى.

1-نهر عيسى وقد يقال نهر صرصر لان عليه صرصر العليا وصرصر السفلى.

2-الوسفية.

3-الصراة.

4-الرفيل.

5-شلبي.

6-نهر ماري .

7-نهر الملك الذي كانت عليه 360 قرية عامرة.

8-نهر النيل-نهر نرس.

9-نهر سورا.

10-نهر سوق أسد.

11-نهر كوثي .

12-نهر الكوفة.

13-نهر الجوة .

14-نهر سعد.

15-نهر السدير وكثير وغيرها.

وإليك أنهاره وخلجانه الحاضرة :

1-نهر طاش:وهو الذي يتفرع من الضفة اليمنى منه قريبا من الرمادي وهو نهر صغير.

2-الصقلاوية: نهر يتخلج من الضفة اليسرى بالقرب منه قرية الصقلاوية ويسقي الاراضي التي بين عقرقوف والفرات وبز الصقلاوية نهر الخر ببغداد.

3-أبو غريب (وزان كليب) نهر فوهته من الضفة اليسرى في جنوب الفلوجة وبزالصقلاوية ويتصل بنهيرات اليوسفية.

4-الرضوانية :من الضفة اليسرى وبزها يتصل بنهيرات اليوسفية.

5-اللطيفية(ششبار) القناة القديمة من الضفة اليسرى وقد ظهرت وكريت أخيرا وسيكون لها مستقبل باهر.

6-اليوسفية في ضفة الفرات اليسرى وهي تجديد قسم مهم من قناة اليوسفية القديمة التي كانت تمتد من اعلى بغداد الى البصرة وهذا القسم الجديد اليوم يسقى 6000 فدان تقريبا ولها مستقبل كبير .

7-المحمودية في الضفة اليسرى فوهتها جنوب صدر اليوسفية وعليها قضاء المحمودية .

8-الإسكندرية تحت المحمودية.

9-الحسينية.

10-جدول ال فتله.

11-جدول بني حسن .

12-نهر الحلة.

13-نهر الهندية: اما نهر الهندية فيتفرع الى نهرين كبيرين : نهر الكوفة ونهر أبو كفوف . وأبو كفوف هذا يتفرع منه رواضع وخلجان وسواعد كثيرة مثل (المهناوية) و(النجارية) و(طبر السيد جواد) و(طبر العوايد) و(الصليجية) و(الجدول). وانها كثيرة متشعبة في قضاء الشامية ونواحي غماس وهور الدخن والصلاحية والصليجية.

ونهر الكوفة فتتفرع منه انهار كبيرة مثل (الفيلية) وتسمى اليوم (الهندية) حول قصبة (الجعارة) الجوة(ومربوعة النجف) ثم يأتي الى منطقة الشلب من أراضي المشخاب فينقسم الى عشرات الأنهار الكبيرة كلها تصب في هور الشنافية.

وبين يدي قصبة الشنافية يتكون فيجري نهر العطشان وهو النهر الكبير الذي يتكون منه فرعا الهندية وتحت الشنافية يلتقي هذا النهر بنهر الحلة.

اما نهر الحلة فيتفرع الى انهار كثيرة وكبيرة البركة فانه يأتي ويمر بخرابات بابل فالحلة واذا جاوزها يتشعب شعبتين شط الديوانية وشط عفك وهنا ينخزع من الضفة اليسرى لشط الحلة وبعد ان يمر بالدغارة وعفك يتوزع على عشرة خلجان ربما كونت بزائزها هورا يسمى هور عفك. وقد اسلفنا لك ان البقية من هذا الماء تنساب في شط الكار المحاذي لحوض الغراف ثم يصب في هور الدكة ولكنه اليوم يستهلك في مزارع عفك والدغارة فلا يصل شط الكار الذي بقي فارغا وصار حوضه الزراعي جزيرة تعرف بجزيرة الكار ولا يمكن احياء هذه الموات الا بعملية هندسية.

واما شط الديوانية فهو يمر بالديوانية فقرية الحمزة فالرميثة ثم يتفرع فرعين وهما شط (القطا) وشط (أبو شويطة) وهذا يتشعبان في اثني عشر نهرا كبيرا تتفرق في الاقطاعيات الزراعية

وتنتهي الى هور شعب تصب في فرات الشنافية قريبا من السماوة ،واما الأنهار الكبار التي تتفرع من شط الحلة فهي :

1- نهر المحاويل 2- نهر النيل 3- نهر أبو غرق 4- نهر الشاه 5- نهر الجربوعية 6- نهر الشوملي 7- نهر طهماسب (الطهماسية) 8- نهر العذار 9- نهر علوج وكثير غيرها.

---

(1)جريدة النهضة العراقية-العدد-31-الأربعاء 19تشرين الأول 1927 22 ربيع الثاني 1346

- 13 -

(1)

الاهوار في الفرات

بسبب قلة الاعمال الهندسية، وعدم مباراة الماء بالترع والقنوات والسدود والخزانات والسكور يتفلت الماء فيجتمع في بعض الأمكنة ويكون بطايح وأهوارا. ينحسر الماء فينكشف عن بعض النواحي فتصبح حمادا، وهكذا كانت بطايح واسط. والبطايح قديمة وعريقة في الفرات ، فقد كانت في عهد النبط وفي عهد الساسانيين ولكني لا اريد ان اشط بالقارئ في هذه العجالة فلا اذكر الا البطايح والاهوار الموجودة اليوم:

هور حبانية: اذا سرت من الرمادي موليا وجهك شطر الجنوب تصادف ارضا منخفضة قد تبطح فيها الماء واستوسع تسمى حبانية او هور حبانية.

هور(أبو دبس): وهو الهور الثاني في الفرات تحت حبانية في أعالي كربلاء.

هور الحسينية: وهو بز الحسينية وفيه ماؤها قريبا من الرزازة.

هور ابن نجم: بين الشامية والديوانية وهو بمكان الاقطاعية القديمة المعروفة سابقا ب(السلهوة).

هور الشنافية: وفيه يجتمع ماء شعبتي الهندية.

هور الزركان: قريبا من ناحية الخضر.

هور الدكة : وهو سيب من الفرات بين الخضر والغراف مما يقارب الشطرة والدكة.

هور الحمار: وهو يتكون من الفرات و دجلة.

هور امجيسية: وهي البلدة واقعة في ضاحية بلاد المنتفق في اعلى سوق الشيوخ وما بينهما ويسمى هور(الخميسية).

الاعمال الهندسية في الفرات

كانت مباراة الفرات بالأعمال الهندسية في زمن الكلدانيين كبيرة، والاهتمام عظيما. وكانت الاعمال الهندسية مبثوثة في الحفر والتطهير وانشاء الترع والخزانات وإقامة السدود والسكور وبناء القناطير وافتراع الجداول . فكانت مدالث الفرات تتعاون عليها الطبيعة والفن فتنبت سنابل الذهب. وهكذا كان شان مدالث الفرات في عهد النبط الدولة الفرثية، وفي عهد الساسانيين ولم نعرف نصيبه في عهد اكتساح اليونانيين والرومانيين لهذه البلاد اللهم بلدة الإسكندرية القائمة

على جدول من الفرات بين المسيب والمحمودية وهي من منشآت الاحتلال اليوناني وباسم القائد المقدوني كما ان سلوقية على دجلة بقيت تذكارا لذلك الاحتلال وهي باسم سلوق احد قواد الاسكندر وتقابلها (طيسفون) وهي تذكار للاحتلال الروماني لأنها أنشئت باسم القائد الروماني . اما في العهد العربي فلم نسمع بأعمال هندسية أنشئت على الفرات اللهم الا تطهير كثير من الترع والقنى القديمة وشق انهار كثيرة وذلك لان الرواسب قد طبقت السواعد والخلجان الأولى ، واكثر ما سمعنا من الاعمال الهندسية هو بناء (الازج) والقناطر مثل (قنطرة دمما) والقنطرة الياسرية والقنطرة الروحية وقنطرة الزياتي وقنطرة الاشنان وقنطرة الشوك وقنطرة الرمان وقنطرة المفيض وقنطرة المحول وقنطرة البستان وقنطرة العبدي وقنطرة بني زريق وقنطرة السوق وقنطرة المحدثين وكثير غيرها اما في عهد الاكتساح المغولي والتتري فلم يكن غير الخراب والدمار .وفي اكثر عهد العثمانيين كان الفرات بيد اهله ولم ينبسط عليه نفوذ العثمانيين الا منذ قرن ونصف . واكبر عمل هندسي قاموا به في العراق ولم يقم مثله منذ 1500 عام هو سدة الهندية التي خططها المهندس الإنجليزي (السير وليم ولكوكس) . وقد نهضت هذه السدة في العقد الثالث من القرن الرابع عشر للهجرة وموقع هذه السدة تحت المسيب بقليل وتحت فوهة شط الحلة وفوهة نهر الحسينية، وقد ذكرنا لك في مهابط الفرات ان عمود الفرات ونابه كان يمتد في شط الحلة. فلما فتحت ثغرة الهندية في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة واستوسعت واتجه اليها المجرى فاصبح نهر الحلة فارغا في اكثر أيام السنة، فعطشت الحلة وعطشت كربلاء فأقيمت السدة في وجه الفرات حتى يصدم اتجاهه ويرقى ملؤه ويركب شط الحلة ونهر الحسينية.

طول تلك السدة (250) مترا لها (36) بابا عرض كل باب (6) امتار ، وتوجد رافعة لتلك الأبواب فوق السدة طولها (10) امتار. تمشي الى تلك الأبواب دواليب راكبة على خط حديدي والسدة مبنية من الاجر والسمنت والحديد ففي اثناء هبوط المياه تنزل تلك الأبواب فيرقى الماء ويرتفع حتى يتدافع في نهر الحسينية وشط الحلة وجدول آل فتله وجدول بني حسن . واذا فتحت الأبواب بالارتفاع فالمياه كلها تصب في مجرى الهندية حتى يجف نهر الحلة.

وهناك طريقة رشيدة لتوزيع المياه تسمى (رشن) في أيام تتراوح بين أسبوع ونصف الأسبوع حسب الحاجة وحسب تقدير المهندس الزراعي. تنزل الأبواب فيقف السقي في مجرى الهندية من كل جهاته الى اسفل الشنافية ويطفح الري في نهر الحلة ونهر بني حسن وآل فلتة والحسينية، ثم ترفع الأبواب فيقف الري عن تلك الأنهار ويسقى حوض الهندية ويكون الري عاما في كافة الجهات .

فترى سدة الفرات لـجاما في لهى مزبد يمور ليجري

مـثلـما صارع القوى قويا تتلقى الفـرات صدرا بصدر

ازعجت سورة الفرات سوار نـصبت عرشـها عليه بقـهـر

فالفرات الطاغي على الباب لا يدخـل الا بـحطـة وبـكسر

وصراع الحديد والماء في النهر صـراع مـا بـيـن لـين و قسر

أيها السائل الرقيـق بـظـلم نـتلـقاك في حديد وصـخر

انت مثل العراق حر أسير ورهان ما بين خير وشر

وهذا العمل الهندسي الخارق وان كان أحيا الفرات فانما أحيا فرات الحلة ولا يزال الفرات الأعلى والاسفل يحتاج الى اعمال هندسية كهذا العمل الماثـل في الفرات الأوسط . بل أن الفرات الأوسط نفسه بعد يحتاج الى عمل مثل هذا . ولم تقم حكومة الاحتلال ولا الحكومة العربية العراقية بعمل هندسي كبير في الفرات. ان حكومة الاحتلال تممت بعض خطط وفروع سد الهندية مثل شق جدول آل فتله ولذلك يسمى ب(الجورجية) ومثل تطهر اليوسفية ومثل ترميم بناء السدة. اما الحكومة العربية العراقية قلم تقم بشيء في الفرات سوى تطهير قناة (اللطيفية)(شيشبار)ولم يعلم حتى الان ان هذه القناة ستكون للعراقيين او لغيرهم فحولها تحوم شكوك كثيرة.

ومن الاعمال الهندسية المحتاج اليها في الفرات سدة عند الفلوجة في الفرات الأعلى ويقام هناك خزان.

اما في بحيرة الحبانية او بحيرة (أبو دبس) ويشق لها قناة من اعلى تحمل اليها مياه الفرات في زمن الطغيان وتشق لها قناة من أسفل تحمل منها الماء وترجعه الى وادي الفرات وذلك زمن الهبوط وبذلك تكون مياه الفرات دائما مرتفعة تسقي حياضه الزراعية من دون مضخات او كرود او نواعير. ويشق من سدة الفلوجة نهر كبير يسمى النيل كما يستنسب بعض الكتاب يجري في الفلوجة الى الناصرية موازيا لمجرى الغراف ومباريا لسقيه فيزرع تلك الجزيرة الطويلة العريضة ومنه تأخذ فوهات ابي غريب واليوسفية واللطيفية (شيشبار). ويحتاج الفرات الى سد في جنوب قرية الكفل لتوزيع المياه بين نهر الكوفة ونهر أبو كفوف وسدة بين السماوة والشنافية وهي السدة المعروفة ب(الدغقولية) وسدة بين الناصرية وسوق الشيوخ وسدة في الدغارة لتوزيع مياه الحلة بين نهر الدغارة وبقية الأنهر....

جريدة النهضة العربية-العدد-32-الجمعة 21تشرين الأول 1927 24ربيع الأول 1346

-14-

(1)

لما كان العراق حوضا زراعيا وسهلا فيه منابت وارياف ، وحوله حقول ومراع ، توافد اليه جمهور كبير من الطوائف القاطنين اليوم على عدوتي الفرات وضفتي دجلة والمبثوثين في الجزيرة بين الواديين ، فكانوا هم العراقيين وهم الاهل الخلص . واليك شيئا عن مبدأ العرب في العراق .

لم تكن سهول العراق مبدئيا بلادا للعرب ولكن هبط اليها العرب وزاحموا من فيها وعربوا العراق تعريبا. ولا شك ان الأكثرية في عرب العراق من العدنانيين بخلاف عرب الشام فان الأكثرية الساحقة فيهم للقحطانيين .كما ان لا شك ان منازل العرب الأولى حوالي العراق وفي العراق هي بلاد البحرين وذي قار والحيرة والانبار ثم بعد ذلك هبط العرب الى شمال العراق وجزيرة ابن عمر فكانت ديار بكر بن وائل غربي دجلة الى نصيبين وهي البلاد المعروفة اليوم ب(ديار بكر). وكانت ديار زبيدة ما بين الموصل وماردين والخابور. وكانت ديار معز في السهل من شرقي الفرات مثل حران والرقة. وديار ربيعة الموصل .وانما الشك في نقطتين تاريخيتين وهما : من أي ناحية هبط العرب الى العراق أولا. وثانيا هل البادئة بالهجرة الى العراق العرب العدنانية ام القحطانية؟ وقد زعموا ان مبدأ وجود العرب في العراق وهبوطهم على تلك الأرياف والسهول سنة 562 قبل الميلاد وذلك في عهد نبوخذ نصر الكلداني . فقد كان هذا الملك الغازي قد حمل بعض حملاته على بلاد العرب واستاق منهم سيبا فأسكنهم الحيرة والانبار ومن هنا ابتدأ تاريخ العرب في العراق وظهرت حوادثهم في عهد نبوخذ نصر. ثم في عهد الاسكندر المقدوني وفي عهد الطبقة الثالثة من الفرس وهم (الفرثيون) وفي عهد الطبقة الرابعة وهم الساسانيون . اما انا فاستظهر ان بلاد البحرين هي ام العروبة العراقية ومنها هاجر العرب الى العراق ودخلوه من جهة الجنوب من ذي قار وظهر البصرة . ذلك هو مبدأ العرب في العراق وقد دخلوه أحرارا مزاحمين الى اهله لا سبي ولا اسرى .

وان العرب القحطانية هي السابقة الى العراق وان كانت الأكثرية اليوم عدنانية. والعدنانية دخلت العراق بالفتح مع الراية الإسلامية ولي تبسط في هذه المسالة ارجئه الى محل اخر ...

وقد احتلت كل واحدة من هذه القبائل رقعة من العراق تدافع عن كل شبر منها أمر الدفاع . فالوطنية متمكنة وقوية في العراق ولكنها مبعثرة وموزعة قطعا قطعا . وبما ان الفرات اقرب الى جزيرة العرب كان نزول القبائل عليه اسبق كما ذكرنا واكثر عدد من القبائل الفراتية تحافظ على بداوتها الى اليوم ففي وقت الربيع تترك ثقلها والعجزة في حيازتها من الأرض العراقية وتخف بطنبها وخيامها الخفيفة الى البادية انتجاعا .فالطوائف الفراتية اليوم ثلاثة اقسام :

منها البدوية الصرفة وهي تنتقل بجمالها ومواشيها في بادية العراق وفي طفوفه وتمتار من الضاحية كشثاثه والنجف والجعارة والشنافية والحميدية والزبير ، او من البلاد الغربية من الجزيرة مثل كربلاء والسماوة والناصرية والبصرة.

ومنها القبائل التي استقرت في الأراضي الممتدة حول الفرات وبنت قبابها على ضفتي النهر .وهذه لا زالت محافظة على عرقها وتقاليدها البدوية ،ومن تلك التقاليد ان استمر التشريع في العراق فسن قانون العشائر واودعه الى مجالس الإدارة ليعامل به العشائر خاصة لانه اقرب الى روحيتهم .

ومنها القبائل التي تفككت روابطها وتشتت في البساتين وفي واحات النخيل كالحضر لا يشعرون بالرابطة والجامعة وضعفت عندهم التقاليد بخلاف القبائل القاطنة في الاقطاعيات الزراعية فقد تشددت في حفظ الروابط وتعلقت بالنسب وقد لا يكون نسب القبيلة واحدا ولكنها تندمج وتلتحق في نسب الرئيس او البيت الكبير انتسابا عاما وتحتفظ بنسبها الخاص وتنتسب اليه انتسابا خاصا فخزاعة مثلا قسمان خزاعة بالنسب وهم صميم خزاعة ، وخزاعة في الراية وهم الحلفاء والقبائل المنضوية في خزاعة ، وهؤلاء وان كانت لهم انساب خاصة معروفة ولكنهم خزاعة في اليوم الكبير .

القبائل البدوية في الفرات

الفدعان : قبيلة من عنيزة تجوب البلاد بين حلب ودير الزور على جانبي الفرات .

العمارات: قبيلة من عنيزة شيخها ابن هذال ومساكنها تمتد على شاطئ الفرات شمالا من كربلاء الى عنه وأبو كمال وفي الوديان غربي كربلاء والمنخفضات وقبيلتهم تقدر ب 5000 خيمة ويمتارون من الرزازة وخان البغدادي وشثاثة وكربلاء .

قبائل العراق البدوية الشهيرة

قبائل شمر **قبائل عنزة**

شمر طوقة شمر جربة رولة سبعة ولد على فدعان عمارات

جنوب العراق شمال العراق سوريا سوريا سوريا+ العراق العراق

---

(1)جريدة النهضة العراقية-العدد 33-الاحد 12 شباط 1928 ، 21شعبان 1346

-15-

(1)

عشائر الفرات

(زوبع): قبيلة من شمر كانت من القبائل الرحل ولكن الكثير اصبحوا مزارعين على القنوات الفراتية ، أبو غريب ، اليوسفية والمحمودية ولا يزال بعضهم بين البدو الرحل .

(ال صفير): قبيلة مهمة تقدر ب 3500 خيمة تتجول بين الزبير والسماوة طولا وبادية المنتفق الى حدود نجد عرضا والزعامة منهم لآل سويط وهم بيت علوي من الاشراف الحسنيين في العراق .

(ال حميد): من بدو المنتفق وفي بادية المنتفق ومثلهم (الزهيرات) و(الشريفات) و(اصبحة) و(الجوارين). كل هؤلاء بدو المنتفق منتشرون في بادية المنتفق من ذي وقار الى ظهر البصرة ويمتارون من الزبير والخميسية وسوق الشيوخ والناصرية . هذه هي القبائل البدوية في الجانب الايسر للفرات.

القبائل الزراعية في الفرات

وهي جمهور مبثوث على جانبي الفرات .اما العمائر الضخمة منهم فهي : الدليم والجبور وزبيد وبنو خفاجة وبنو حسن وآل فلته وخزاعة وال محسن والمنتفق . وهناك قبائل كثيرة منضوية في هذه القبائل .

(الدليم): تمتد بيوتهم من عنه الى الفلوجة ومنهم اقوام على جدول اليوسفية والصقلاوية .

(الجبور) :يقيم قسم كبير من الجبور على جدول الجربوعية وعلى قسم كبير من الشاطئ الأيمن لفرات الحلة خصوصا في الدغارة وعفك وقسم على الشاطئ الايسر من فرات الحلة بين قرية الحمزة والرميثة والجعارة (الحيرة).

(زبيد) :قبيلة ضخمة تقطن ما بين دجلة والفرات من المحمودية الى البغيلة ،ولهم بلاد الصويرة (الجزيرة) .وقبيلة الجحيش منهم تحتل جداول المحاويل والبو سلطان والمعامرة وال يسار والبو عامر . كل هؤلاء فراتيون فزبيد فراتية الا قسماً من البو سلطان.

(بنو خفاجة): حي بني عامر من عمائر العراق الضخمة ولها في الفرات قدم وقدم ولها ماضي مجيد. كانت في بادية العراق مما يلي ظهر الكوفة ، وكانت لها السراية هناك. ولعل خفاجة الذين هم في اعلى السماوة اليوم هم بقية أولئك وكانوا حلفاء الدولة المزيدية في الحلة. ولعل خفاجة الحلة اليوم هم بقية أولئك ، وكانوا في ظهر البصرة في القرن الثالث للهجرة ولعل

خفاجة البصرة هم بقية أولئك . واليوم ينزلون في حارة البصرة . تلك الحارة الشهيرة غير انها تعرف اليوم ب(السبخة) واما خفاجة الغراف فهم بقية امارة ال شاهين في البطايح وعشيرة عمران بن شاهين الخفاجي امير البطايح .

(خزاعة): كانت من اكبر قبائل الكوفة خصوصا في القرن الحادي عشر والثاني عشر للهجرة . نزلت الأرياف والشواطئ التي بين الكوفة والسماوة برا ونهرا وقد أسست مدينة (الديوانية) في القرن الثاني عشر فالديوانية هي ديوان مشايخ خزاعة.

(ال فتلة): في الغراف قبيلة ضخمة قحطانية تعرف ببني زيد يزرعون في دكة العبد الواقعة بين الناصرية والشطرة . تفرقت في القرن الثالث عشر للهجرة فقسم منها بقي في مكانه ويعرف اليوم ببني زيد الدكة ، وقسم انتزع الى البدعة احد فرعي نهر الفرات ويعرف ببني البدعة ، وقسم نزل على الجبور في الأراضي الغنية الواقعة في الجهة الجنوبية الشرقية من نهر الديوانية تسقى بنهر يتفرع من نهر الحلة يسمى (الفوار) وهؤلاء هم ال فتلة . وعمي (الفوار) فهبطت قيمة اقطاعياته وهاجر ال فتلة فنزل قسم منهم على الفرات الهندية وهؤلاء يعرفون بال فتلة الهندية، وقسم نزل فرات السماوة ثم صعد الى بطايح المشخاب فنزلوها . وكانت هناك ايدي سياسية اوجبت نزولهم وأوجبت مساندة الحكومة التركية لهم في ذلك النزول. وكانت تلك الانحاء بيد العلويين المعروفين ب(ال زوين)، بيت من البيوت العلمية نبغ في الرماحية ثم انتزح بعض النابهين منهم الى النجف وبواسطة نزولهم في الرماحية وتلك الانحاء تحت نفوذ خزاعة اكرمت خزاعة مثواهم واقطعتهم تلك الانحاء ، ولكنهم عجزوا عن حفظ تلك الاقطاعية الموهوبة لهم فاصبحوا لا يقدرون على استغلالها فشجعت الحكومة التركية الهادمة للبيوت القديمة آل فتلة على احتلال تلك الاقطاعية بقصد هدم نفوذ خزاعة واحتلت آل فتلة المشخاب .

ومن القبائل الضخمة المجاورة لآل فتلة :

(آل شبل): قبيلة كبيرة من حلفاء خزاعة سابقا تنزل الأراضي الكائنة عند نهاية شط الكوفة والشامية وحواشي الصحراء من الغرب وتنقسم الى قسمين آل خزين وهم نهاية نهر الشامية وآل ليام . ومن بطون ليام الغزالات وال منصور.

(آل إبراهيم): بين منازل ال فتلة ومنازل ال شبل ، رهط من بني مالك تلك القبيلة الضخمة احدى اثلاث المنتفق وهؤلاء هم آل إبراهيم القاطنين في بلاد المنتفق.

وعلى الفرات الأوسط عشائر غير هؤلاء ربما كانوا كلهم خزاعة في الراية يوم كان العراق ينقسم الى رايات ومناطق نفوذ مثل راية خزاعة وراية المنتفق وراية زبيد وراية ربيعة وراية طي بني لام. ومن تلك العشائر المنضوية في خزاعة الظوالم والبو حسان وكعب وآل زياد والاعاجيب وآل عيسى والبوجبايشى وال محسن وبنو حشيم.

---

(1)جريدة النهضة العراقية-العدد (34) الخميس16 شباط1928 25 شعبان 1346

-16-

(1)

عشائر الفرات (تتمة)

(بنو حسن):وفي بعض الاثار المخطوطة بنو الحسناء ، قبيلة ضخمة او مجموع تحالف قبائل تنزل على عدوتي فرات الهندية من السدة الى تحت الكوفة وفي جانب من أراضي الشامية وهم عشائر الهور المعروف ب(هور الدخن) . وبنو حسن هؤلاء ينقسمون اثلاثا:

(الجراح) وهم ململمة قبائل ، و(الجباس) وهم ململمة قبائل ،و(البو عارضي) وهذا الثالث لا يعترفون له كما يعترفون للجراح وللجباس . ربما ان الفرات الهندية كما ذكرنا آنفاً حادث منذ 138 سنة فاين مهبط هذه القبيلة الضخمة ؟ يقال ان قبيلة (بني إزيريج) النازلة على فرات الرميثة وقبيلة بني حسن كانتا قبيلة واحدة من اصل واحد وانتسابهم الى ربيعة ، وقبل مجرى الهندية كان عمود الفرات حادا في شط الحلة فكان ذلك الفرع الذي عليه قبيلة بني إيزيريج وبني حسن غزير المياه وكثير البركة ولما شق نهر الهندية ضعف جري نهر الحلة وقلت بركته فانتقل بنو حسن الى الهندية وبقي بنو إيزيريج في مكانهم.

(المنتفق): قبائل كثيرة مبثوثة من اعلى الناصرية الى ظهر البصرة نهرا وبرا وفي شقة من نهر الغراف محافظون على التحالف التاريخي ، ذلك الحلف الذي يذكره التاريخ من قبل العهد الإسلامي بين بني المنتفق وبين إخوانهم بني مالك وحلفائهم ال اجود . فالمنتفق اثلاث وهم بنو سعيد ويظهر انهم هم بنو المنتفق وهؤلاء حافظوا على نسبهم ووحدتهم فبنو سعيد قبيلة صميمية لم تخالط ولم تمازج وبنو مالك وال اجود والمنتفق من هوازن .

(بنو اسد): كانت لهم الاثرة حول الكوفة ونزلوا بطايح الحلة او بطايح الفرات حول الحلة ثم نزلوا بطايح الحمار وهو مناخهم اليوم وهم رهط من ربيعة .

(ربيعة البطايح): مركزهم مدينة بني منصور وهناك امارتهم وربما امتدت على طول شط العرب وفي الجزائر. والجوازر التي هناك هي العمایر الكبيرة على الفرات . واليك أسماء البطون والقبائل المبثوثة على جانبي الفرات من مبدأ الخط السياسي الذي حد العراق على الفرات :

البو عيسى ، جميلة ، البو علوان، الفلاحات ،البو خليفة ،البو مرعي ، البو فهد ، البو كليب ،البو عساف ،البو محل ،البو تم، البو علي ، آل جاسم، البو ذياب ، البو فراج ، البو سودة ،البو عبيد

قرطان ، ملاحمة ،البو شهاب ،البو عكاش ،شيمة ،البقارة، البو حردان، الجبور ،البو سلطان وال يسار، الجنابسي،، ال مسعود ، البو غانم العويسات ، البو محي ،جلحة ، اقربط ،البحاحتة ، الهلالات ، العوايد ،والحميدات ،الاقرع ، ال بدير ، الصفران ،ال غزي ،البدور ، ال ازيرق الحسينات ،العساكرة ،ال شدود ،بني خاقان ،حكام ال حسن ،ال إسماعيل ،الجوابر،ال احول ،بنو سعيد ،البو صالح ،بنو مالك ،المواجد ،بنو منصور ،عمادة.

وكثير غيرهم .

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد (35) الجمعة 17شباط 1928 ، 26شعبان 1946

-17 -

(1)

الحالة الاقتصادية في الفرات

الاعمال الفنية في بلاد الفرات الزراعية

لا اغرب عليك لو قلت ان الزراعة في الفرات بسيطة وفطرية والفلاح العراقي من حزب المحافظين ،فنبت الفرات نبت لا يساعده شيء من الاعمال الفنية المهمة فالطرق الزراعية غير منظمة ، والامراض الزراعية متفشية في الشجر والنخيل ، والنبات لا يعرف شيئا من الإصلاح ، والحاصل هو ما تجود به الطبيعة لا يعرف بركة السماء ولا جودة البذر ولا أصول السقي . والماء يطفو ويغرق، ويهبط فيحرق العطش الأخضر واليابس من الزرع ، ويذهب الفرات الى الاجاج هدية باردة . وتوجد في العراق مدرسة للزراعة ووزارة للزراعة لم يشعر بها الفرات ولم يحس بأعمالها فهي رواية خيالية اكثر ما تمثل في الرستمية ولا يشهد تلك الرواية الا أناس مخصوصون يأخذون ثمنا عن تلك المشاهدة وهو (الراتب) ولا يدفعون كغيرهم ممن يشاهد الروايات . واما الوسائل النقلية في القرى الزراعية فلا زالت تعتمد على السفن الشراعية وعلى ظهور الحيوانات فلا خطوط زراعية في الفرات .

نعم يوجد خط حديدي ما بين بغداد والبصرة يمكن ان يعتبر انه خط فراتي وله فرع ثانوي من سدة الهندية الى كربلاء ومن محطة اور الى الناصرية ، وفي النية تمديد فرع من الديوانية الى الحميدية (الشامية) ثم الى (أبو صخير) فما بين النجف والكوفة ومن هناك الى كربلاء .وهذا الخط العمودي وفروعه وان كان خطا تجاريا اكثر منه زراعيا ولكنه وسيلة مهمة في تلك المدن والقرى الزراعية مع انه خراب متداع ، والسيارات أصبحت مزاحمة للقطار في النقل والسرعة ولكنها في الفرات لا تفي بنقل الركاب فضلا عن النقليات الزراعية . وتنظيم المواصلات يتوقف على تعبيد الطرق أولا وعقد الجسور وبناء الازج والقناطر في المعابر والطرقات في القرى والمدن والضواحي وهذه الاعمال بعد في دورها الأول في العراق .فالطرق وعرة والقناطر لم ينشا القدر الكافي منها وكل الجسور الموجودة على الفرات (13) جسرا ثلاثة منها ثابتة وهي (السدة)و(السوير)و(السماوة).وهذه ثلاثة جسور ضخمه بنيت بالسمنت والحديد والحجارة الصلبة ،وعشرة جسور سيارة صالحة لعبور قسم من السيارات وتوجد بعض معابر عوامة بواسطة ممر هناك .

واما تنقية البذور او كما يسميها الفلاح الفراتي (تعريب البذور) فمعدومة في الفرات ومن هنا سقطت أهمية الحنطة العراقية في الخارج لان بذورها غير منقاة . فما احوجنا الى انتقاء البذور وإصلاح أساليب الزراعة .ويمكنني ان أقول ان في الفرات قابلية اقتصادية كبرى ولكن ليس فيه مؤسسات ولا منشات ولا اعمال تقضي بان توجد فيه حركة اقتصادية مهمة ولعل ذلك مدخر للمستقبل .

الحالة الاقتصادية في الفرات

لا ابعد بالقارئ فأقدم له ما كتب المتقدمون عن حالة الفرات الاقتصادية في الزمن الغابر، ولكني اريد ان اكتب عن الحالة الاقتصادية في جيلنا الحاضر ليقرا المقبلون .

الفرات بلاد زراعية فاكبر موارد ثروته الزراعية وتربية الحيوان لان البلاد الزراعية تحتاج الى الحيوان وتتيسر لها تربيته . فلا بد وان يتم لإنعاش الحالة الاقتصادية في الفرات عدة أشياء طبيعية وفنية واجتماعية .

اما الاشياء الطبيعية فموفرة واذا كان العمل الزراعي لا بد وان يتعاون عليه الماء والتربة والهواء والشمس واليد العاملة والفن فمدائن الفرات وحياضه الزراعية خصبة التربة وغالبا سمادها طبيعي وهو اما الغرين الذي يحمله الماء الطاغي في كل عام فيكسو الأرض ثوبا جديدا او يخلع عليها حلة خصب جديدة واما نور الشمس وذلك ان الفلاح يحرث الأرض ويقلبها ويتركها تمتص من نور الشمس قوة ونشاطا ، او يحرق أصول الزرع فيها بعد الحصاد فيكون ذلك سمادا وبهذا السماد الطبيعي تقذف الأرض ما في بطنها من كنوز في حبوبها وثمارها . واذا كانت مساحة العراق مئة وخمسين الف ميل مربع فتشطرها مناطق ثلاث :المنطقة الشمالية وهي تسقى بماء السماء ،ومنطقة الجزيرة وبلاد الضاحية وهي مغال ومراع ، ومنطقة ما بين النهرين وهي التي تسقى بدجلة الفرات .وهذه المنطقة أوسع من تينك وسقي الفرات او الوادي الذي يسيل فيه الفرات أوسع من سقي دجلة فربما قاربت مساحة الفرات أربعين الف ميل مربع هذا شان التربة الفراتية وسعتها ، ولكن اكثرها اليوم خراب ، اما لسراب الجزيرة واما لعباب الاهوار والبطائح .هذه هي التربة. اما الماء فقد ذكرنا لك ان معدل ما يجري في وادي الفرات من الماء في الثانية مقياسا من قرية هيت(100) مئة الف قدم مكعب وقت الفيضان و(8) ثمانية الاف قدم مكعب في وقت نزول المياه وجفافها. وحسبك بهذا الكنز المكشوف ومقدار ما يسقى وينتج اذا تعهدته الاعمال وساعدته الأحوال الاجتماعية .اما الطقس فهواؤه ونوره معتدل يعين على توفير أنواع من الزرع والنبات والشجر . والمطر فيه قليل وهواؤه جاف لابتعاده عن البحر اللهم الا اذا هبت الصبا وهي الريح الشرقية فأنها تكون رطبة وتنشئ سحابا وضبابا وكثافة في الجو لأنها تهب على العراق من الوجه البحري . والصبا في العراق ليس لها تلك العذوبة المعروفة في بلاد العرب وبما ان الوجه البحري في العراق هو الجنوب والقبلة لذلك ترى العراقيين يجدون (برومتر) طبيعي يعرفون به تكون الغيوم اذا هبت الصبا ويعرفون وقوع الامطار اذا رأوا الغيوم تتصاعد من جهة القبلة والجنوب.

اما اليد العاملة فاذا فرض ان في العراق (3)ملايين نسمة كما يقولون فلا شك ان القباب على جانبي الفرات تحوي ثلثا تقريبا من ذلك الإحصاء ولا شك ان 70% من العاملين في الفرات مهنتهم الزراعة والثلاثون الباقون يرتبطون في الزراعة وتتوقف عليها حالتهم الاقتصادية.

ولكن كم هي الايدي العاملة في المليون نسمة القاطنة على الفرات ؟ وبرغم ان الايدي العاملة في القرية الزراعية اكثر من الايدي العاملة في المدن لان القرى الزراعية يشترك بالعمل فيها الرجل والمرأة والطفل، فانا لا اعتقد ان العمال المباشرين للزراعة يتجاوزون المئتي الف عامل وهذا اقل من القليل ،بل فراغ وقحط رجال . فأننا اذا اعتبرنا ان الأراضي القابلة للزراعة في العراق 122 مليون فدان تقريبا وعلى نسبة ان كل فدان الى ثلاثة فلاحين فيلزم ان تكون اليد العاملة في العراق (37) مليونا فيكون حظ الفرات ثلث ذلك الرقم الضخم وأين هذا من مئتي الف يد عاملة كما هو موجود اليوم ؟ اذاً فلا بد من تكثير الالات الفنية الزراعية للسقي والحرث والحصاد والتصفية فان كل الة من تلك الآلات تغني عن الوف من الايدي العاملة .

واما العمل على زيادة النفوس في الفرات فذلك لا يكون بصورة الاتيان باقوام أجانب يسكنون الفرات ويزاحمون اهل الوطن على وطنهم . كلا،فاننا نريد عمران الفرات للفراتيين لا للهنود والاوربيين . وانما تكون الزيادة المطردة في النفوس بالمحافظة الصحية على التناسل في العراق وتربية النشء العراقي تربية صحية ،فتبث المؤسسات الصحية ،وتذاع النشرات ،وتبذل الادوية .فاذا كان الجيل في حالة صحية والولادة صحية والتربية الصحية ووسائل الصحة مبثوثة في كل الانحاء ينشا النسل العراقي صحيحا والتربية صحيحة ويطرد فيه النمو السريع .انظر الى النفوس في وادي النيل تقارب (14) مليونا ولا زال النمو مطردا بل يركض بسرعة. والاطيان المصرية مستعدة لتشغيل تلك الملايين وتطلب الزيادة فكم يلزمنا في وادي الفراتين اذا علمت ان العراق يزيد على مصر بثلث من المساحة القابلة للاستغلال.

ومن الطرق الموصلة الى تكثير الايدي العاملة توطين العشائر العراقية الرحل وتحضير البدو . تلك النظرية الاجتماعية العمرانية التي استشعرتها واهتدت اليها حكومة نجد ،فجعلت الهجرة من مبادئ الاخوان ، وحتمت بناء القرى والتعاطي بالزراعة ،ولم تهتد لها حكومتنا المتمدنة التي كلما قدرت ان تحسنه انها كثرت الوظائف والموظفين .

واما الحالة الاجتماعية في الفرات فقد فصلت ذلك في رسالة بيت الامة ونوهت بكوخ الفلاح واثاثه والمرأة التي فيه ومـأكله ومشربه وأشغاله الزراعية وآلاته وطرق الجباية (السركلة) والملكية وسائر حقوق التصرف والسلفات المالية التي يتناولها من أولئك المرابين وخلاصة تلك الاقوال ان العراق في حاجة ماسة الى إيجاد دور جديد من أدوار حقوق التصرف التي مرت عليه بانواع عديدة تارة بطريقة الاحتلال والحيازة، وتارة بطريقة الاحياء وتارة بطريق الحكم الاقطاعي ،وتارة بطريقة الطابو والسركلة .فان الدور الأخير من أدوار حقوق التصرف في الأراضي الزراعية وهو الدور الذي جاء به مدحت باشا بحسب منشوره الذي اذاعه سنة 1283 ه سنة 1864 ميلادية قد باد وقد نشأت حوله شكوك واختلاسات وتطبيقات لا تلائم الحالة الحاضرة فالملاكية القرطاسية وهي ملاكية أوراق الطابو يجب اعتبارها دورا بائدا لان الحالة الاجتماعية والنظم المدنية والروح الموجودة في كل العالم لا تساعد على استملاك ارض واستغلال جهود لشخص امتاز ان في يده قرطاسا محبرا بملاكية ،ويجب ان يكون الامتلاك

بإزاء اعمال لا اقوال وتحارير ،وان يكون بالمسحاة لا بالمحابر والقرطاسية ،ولا بد من الإصلاح بعدة أمور .

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد -36-الاحد 19شباط 1928 ، 28 شعبان 1346

-18-

(1)

إصلاح الحالة الزراعية

1-اجراء عملية كبرى في الملاكية القرطاسية واصلاحها بجعل الملاك يقوم بشطر من العمل الزراعي، وتطبق الملاكية على أصول عملية تناسب المبدأ القائل ((ان الأرض لمن احياها)) وحينئذ تكون روح الملاكية للامة لا للفرد الذي بيده ورقة .

2-النظر في مسالة السركلة وما المراد بالسركلة وهل يوجد لزوم لوجود السركلة بعد ان تكون حكومة وطنية قومية شعبية اقتصادية كاملة التشكيلات لها وزارة اشغال ولها وزارة زراعة ؟ وهل يلزم ان نعطي المحلة ثلثا من دورها للمختار الذي تعينه البلدية كما يلزم ان تعطي الاقطاعية ثلث حاصلاتها لذلك السركال الذي تعينه الحكومة؟ ومن رأيي ان تلغي الملاكية الحضرية ملاكية صاحب الأرض الذي ليس عنده من الأرض الا النقشة والا دمغة الطابو ، ولا يخرج راسه من كوة القصر الا في وقت الحاصل فيقاسم ذلك المكدود نتيجة اتعابه وأن تعطى بعض حقوق تلك الملاكية الى السركال الذي هو فلاح حقيقة في الأمور العامة التي يحتاجها الفلاح الشخصي .

3-إيجاد مصارف زراعية تخلص الفلاح العراقي من فوضى تلك المعاملات الربوية المجحفة .

4-إيجاد طريقة عادلة ثابتة لتقدير حصة الحكومة وطرق جبايتها.

انا لا اريد ان اطرق الموضوع ثانية ولكني اتناول الحالة الاجتماعية هنا من الجهة التي تناولتها في رسالة بيت الامة فاقول:

انتقلت الحالة الاجتماعية للفلاح الفراتي من دور الى دور وتحولت من وضعية الى وضعية وذلك من جهة الامن ومن جهة السوق التجارية.

اما من جهة الامن فقد قيل ان الزراعة لا تكون بمقدار الأرض االقابلة للزراعة ولكن بمقدار الامن في تلك الأرض ومن اجل ذلك يكون للحكومة حق شرعي في الحبة المزروعة لأنها اشتركت في العمل على ايجادها ، بان اوجدت للفلاح جوا هادئا ووطنا امنا يمكنه ان يعمل فيه ويستغل اعماله بكل طمأنينة . وكلما زاد الأمن زادت البركة لان الثأر والنهب والسرقة لن تكون لها حصة في الحاصل الزراعي ، و سوف يستثمرالفلاح وقته وجهوده في عمله الزراعي ولا يتكلف تلك المصاريف التي يتكلفها في وقت الفوضى.

وقد كان الفلاح الفراتي في الدور التركي قليل البركة لأنه كان فاقدا للامن اللازم لعمله الزراعي وقد كان مبتليا بداء القنابل الفتاكة وتلك الخراطيش الصفر التي كان ينضدها على صدره ويحتزم بها للفتك بأخيه . وكان الفلاح الفراتي مبتليا بوباء الموت الأحمر ، فكان العمل الزراعي قليلا . ولكن كل ذلك والحالة الاقتصادية كانت انعش من الحالة الراهنة وارفه ،لان السوق التجارية كانت عامرة في الداخل والخارج ولم يكن وقوف في الدولاب ولا جمود في السوق على حين لم تكن لنا وزارة اقتصادية ولا مديرية ولكن كانت لنا حركة اقتصادية مهمة في روسيا وفي الاستانة وفي نجد وفي بعض البلاد الساحلية والبلاد الأوروبية والأمريكية ،ولم تكن حينذاك حكومة تشبه الزوبعة المقلعة تجرف كلما صادفت في طريقها بصفة ضرائب وجباية وتكاليف ،وقد حفرت في القطر (بالوعة) رواتب تبلع الثروة العراقية .

اما اليوم فالامن مستتب والحالة مبسوطة والأمة العراقية كسائر الأمم المتمدنة تمشي بالنظام والقانون ويكاد يكون نظام الشرطة ونظام البلدية يكفيان للطمأنينة الداخلية وتمشية الحالة. والفلاح مستهلك في وظيفته الزراعية ومستغل لكل جهوده بدوام ومثابرة ، ولكن الفقر مغبر على جبينه وعلى كوخه وعلى ناديه ،وأصبحت الصفرة لونا شايعا في الفلاح العراقي كانه من أبناء الصين .وقد ذبلت الروح في الفرات ، وانكمشت الحالة ، وانبسط الذهول والوجل من الحالة الراهنة وخالطت النفوس الريبة والشكوك واحتضر الفلاح الفراتي لان يموت بالموت الأخير وهي ميتة الذبول والانكماش . ولكن نظرية بعض الادباء ان مراجعة التاريخ العربي ودرس أولئك الاقوام في كل النوبات التاريخية والاجتماعية يدل ويبرهن ان العربي لا يستنيم ولا يستسلم لموت الذل فهو في كل تاريخه يفضل الموت الاغبر ،فعلى أطباء الاجتماع ان يجسوا النبض ويدركوا خطورة الحال :

فصاحب الكوخ فقرا قد باع حتى المعاصب

وسبب ذلك عدة أمور : أولا ثقل الجباية من جهات عديدة منها كيفية التقدير فان حصة الحكومة وان كانت بطريقة المقطوعي او المسح او التخمين او غير ذلك تكون مضبوطة بالأرقام والمقاييس والمقادير وهي في ذلك الحاصل الذي ليس بمضبوط لان الفلاح العراقي حقه في زرعه مثل حقه في دابته في ذلك الزرع بلا ضابط ،فقوة الأرض وضعفها وحسن الزرع وخصبه وعدم الانضباط في حصاده ودوسه وتصفيته وقسمته وكيله او وزنه على ذلك التاجر المرابي المقامر . كل ذلك يؤثر على الفلاح وعلى حصته ولكن حصة الحكومة لا تتأثر بكل تلك المؤثرات والحكومة تريد من الفلاح بميزان المثاقيل كأنها ليست صاحبة حصة في الحاصل بل صاحب وديعة مضبوطة المقدار والفئة ومنها أساس التقدير فانه غالبا ما يكون طبقا لأمور فنية ،ولكن الحاصل المقدر لا يعرف شيئا من الفن، ومنها طرق التقدير فأنها مختلفة مضرة بصالح الحكومة وصالح الفلاح .

فثقل الجباية من هذه الجهات ومن غيرها هو الذي غير في وجه الفلاح الفراتي واوجد الضعضعة هنا وهناك وقد بلغ ثقل الجباية بالفلاح العراقي ان اضطر الى سحق تقاليده . هذا فلاح الديوانية بالأمس قد اضطر الى اغلاق بيوت كرمه ومحلات شعاره وفخاره فقد سدت الديوانية ثمانية عشر (مضيفا) والعربي الصميم يعرف مقدار تأثير ذلك الإجراء ومقدار مساسه في غرائزه ومشاعره ، وهذا فلاح قلعة سكر في الغراف قد ترك ارضه وفر هاربا على وجهه.

والوطني الصادق الوطنية يعرف قيمة الوطن عند الفلاح وكيف يستميت على شبر منه ويضحي كل عزيز دون تلك الأرض التي كما يقولون (قلع شيبها وقتل دبيبها) .

السوق التجارية

لقد سدت كل المنافذ في وجه الصادرات العراقية ، فروسيا السوفيتية لا تقبل بضاعتنا ، وايران قاطعتنا ، ونجد انقطعت عنا وبلاد الترك لم تنتظم بيننا وبينها الروابط والوسائل . فلم يبق الا السوق الاوربية ولانعدام راس المال العراقي وعدم وجود شركة عراقية ، اخذت الشركات الأجنبية تتحكم في ثرواتنا واقتصادياتنا بانواع التحكم الاقتصادي .

ان رأس المال النقدي في السوق والحاصل الزراعي في البيدر هما كفتا ميزان الثروة العراقية . ولان العراق بلاد زراعية فاكبر موارد ثروتها الزراعة وتربية الحيوان ،اذ البلاد الزراعية تحتاج الى الحيوان وتتيسر لها تربيته فاذا كثر الحاصل الزراعي ولم يتوفر راس المال النقدي في السوق اصبح العراق فقيرا معدما وصارت مخازن الحبوب كتلال التراب لا قيمة لها .

وقد رأينا ذلك في عهد النفير العام التركي للحرب العامة عندما ذاب الذهب ووقف دولاب التجارة وتعطلت السبل وكانت سنة العراق سنة خصبة فكنت ترى الحاصل كتلال التراب لا تساوي شيئا . وكنت ترى الأغنام والماعز والبقر ونتاجها او ما يتحمل منها كالجلود والصوف والدهن مبذولا بوفرة لا سوم له ولا قيمة ،وهذا هو الفقر الأبيض . واذا وجد النقد ولم يوجد الحاصل فذاك هو القحط الأسود .

اما اذا كان النقد موفورا والحاصل جيدا ولكن النقد اعلى منه قيمة ودولاب العمل سريع ونشيط فتلك الحالة هي التي يسميها العراقيون (غنوة لا غلوة) فيجب العمل دائما على توفير النقد لا تقليله وذلك بفتح الطرق التجارية وإيجاد سوق في الخارج للحاصل العراقي من جهة ، والعمل على توفيرالحاصل وتجويده من جهة ثانية .

ان التقدم والانتعاش الاقتصادي في ثروة المصريين محسوس للبعيد والقريب والوفر مشاهد وسبب ذلك ان النقد في مصر اصبح اعلى من الحاصل وذلك بواسطة التحويل ورواج الحاصل المصري في الأسواق الخارجية. ولما جاءت الحرب كثر التموين فكثرت وكبرت الثروة المصرية وتحسنت حالة الفلاح المصري تحسنا سريعا ، ولما هادنت الدول بعضها بعضا وعادت الحالة الراكدة صدمت السوق المصري صدمة كبيرة وتزعزع الاقتصاد المصري .

وسرعان ما درست الحكومة المصرية الحالة فعرفت بنتيجة درسها ان الحاصل الزراعي صار اعلى واوفر من راس المال النقدي الموجود في سوق مصر فقررت الحكومة ونعم ما قررت ، ان تنزل نقد الحكومة الى السوق وتشتري مقدارا من الحاصل وتحتكره وبذلك تأمن السوق المصرية من الهبوط الفاحش الذي يستفيد به الاقتصاد الأجنبي ويتضرر به الاقتصاد الوطني ، وهذا العلاج يستدعي ان يكون للحاصل الوطني سوق في الخارج لا مثل الحاصل العراقي .

والعراق قد اخذ حصته من تلك العافية وذلك الانتعاش في زمن الحرب ولكنه ما عتم ان هبط فسقط والحكومة العراقية لم تعمل على نشل العراق من تلك السقطة كما عملت الحكومة المصرية بل اعانت على السقوط وعجلت بالفقر ودهورت العراق في هوة سحيقة .

اجل جاءت الحرب العامة فكان العراق بين النقدين : النقد الإنجليزي يصب في اسواقه من الجنوب مع الحملة الإنكليزية، والنقد الألماني يصب في اسواقة من الشمال. ونشطت سوق العراق التجارية أي نشاط ففاضت العافية على العراقيين وتحسنت حالة الفلاح العراقي فكان الداخل الى القرية الزراعية يرى اثار العافية تلمع على كوخ الفلاح وفي اثاثه ولباسه وارتياحه .

فكان في القرية الزراعية (ناد للاجتماع) على شرب القهوة وهذه الحالة عندهم من اكبر علامات الرفاه ،والفلاح العراقي اذا اثرى يظهر ثراؤه في اقتناء السلاح ورباط الخيل والرغبة في الزواج . وقد أصبحت قيمة البندقية يومذاك (35) ليرة ذهبية تركية قيمة نصيفة الفرس العربي (30)ليرة ذهبية ، وعادة الفلاح العراقي ان لا يشتري كل الفرس كما يسمون ذلك (مقلفع) لأنه يتشاءم من ذلك ، وعنده ان الشركة في ملكية الفرس أساس للبركة وبدونها فلا بركة في تلك الفرس .وجعلوا يمهرون على النساء ب 200-300 ليرة ذهبية على ان معدل المهر عندهم (15) ليرة في اكثر الأوقات .

واليك بيان ما وصلت اليه قيمة الحاصل العراقي في الارتفاع :

ربية	تغار	المحصول	1000كيلو في ليرة			سعر الليرة ربية	
2160	1	حنطة	=	=	120	ليرة	18
1080	1	شلب	=	=	60	ليرة	18
1080	1	شعير	=	=	60	ليرة	18
1380	1	تمر	=	=	41	ليرة	18

هذه قيمة الارتفاع واليك قيمة الهبوط المدهش لتعرف كيف ذابت الثروة العراقية:

ربية	تغار	حنطة	1000كيلو
240	1	حنطة	1000كيلو
156	1	شلب	1000كيلو
90	1	شعير	1000 كيلو
80	1	تمر	1000كيلو

جريدة النهضة العراقية – العدد37 الاثنين 20 شباط 1928 ، 29 شعبان 1346

-19-

(1)

الزراعة في الفرات

((الفرات يدافع بمساحيه))

ياقوت الحموي

ذكر ياقوت الحموي في مادة الفرات قال: ذكر احمد بن يحيى بن جابر لما فتح عتبة بن غزوان (الابلة) عنوة عبر الفرات فخرج له اهل الفرات بمساحيهم . هذا ما حفظه التاريخ لاهل الفرات، ولا زالت هذه الميزة فيهم. وقد ذكر بعض الكتاب ان الفراتي يدافع بالمسحاة ويستدل بها وهي كل شيء في الفرات لان الفرات كنز ومفتاحه المسحاة .

واليك شيئا عن الزراعة في الفرات :

يجزم الخيرون ان الأرض القابلة للزراعة في العراق اوفى واكثر من الأراضي القابلة للزراعة في مصر بثلث تقريبا .فان الأرض القابلة للزراعة في العراق (122) مليونا من الافدنة، والأرض القابلة للزراعة في مصر (82) مليونا من الافدنة .ولا شك ان اربعين في المئة من الأرض العراقية الزراعية هي سقي الفرات وحوضه الزراعي ،واكثر المزروعات في الفرات ... الشعير ...فالحنطة ... فالشلب .

أما الأشجار فاكثرها النخل ثم الكروم ثم الرمان . اما النخل فنخل العراق المشهور يكاد يكون في الفرات وشط العرب .والفرات هو السواد المعروف دون غيره من انهار العراق . اما دجلة فتكاد تكون جرداء نسبة الى الفرات الذي يكاد يكون غابة واحدة ممتدة من أعلى المسيب الى القرنة يتخللها بعض فجوات خالية من الغرس .واعظم تلك الفجوات ما بين الشنافية والسماوة وما بين الحلة والديوانية ،والديوانية والرميثة والسماوة وما بين الخضر والناصرية .

ويقدر مجموع النخل في حوض الفرات بسبعة ملايين وان كان الإحصاء الرسمي للسنة الماضية يجعله خمسة ملايين تقريبا ولكن الإحصاء الرسمي أولا لا يتناول الا المثمر وثانيا يكون فيه غفل كبير وعدم انضباط .

واليك الإحصاء الرسمي تقريبا

000 150 نخلة في الفرات الأعلى الى سدة الهندية

000 120 نخلة في شثاثة

000 60 نخلة في كربلاء

000 150 نخلة في الهندية

000 150 نخلة في الكوفة

000 700 نخلة في القضائي ابي صخير والشامية

000 750 في الحلة والعذارات

000 150 نخلة في السماوة

_____

000 0505 [2]

وعمر النخلة في الفرات غالبا مئة عام وتعطي اكلها بين الرابعة والخامسة بعد الغرس في الغالب .

اللواء	النخيل المثمر	الفسيل: ابن النخلة الذي يفصل عن امه ليغرس من جديد	الفحل ذكر النخلة لا يثمر ويطلع ازهار اللقاح (الطلع)	المجموع الكلي
البصرة	193807	2305005	163560	13399772
الحلة	3103327	1571181	75344	4749862
الديوانية	3000874	402658	76843	3480085
ديالى	1853384	906952	37326	2797662
بغداد	1352941	837428	20521	2310890
الناصرية	1859022	296197	55439	2210668
كربلاء	1327591	501733	41515	1870839
العمارة	432413	128163	31534	592110
الكوت	33496	43894	1123	378502
كركوك	32757	22234	310	56401
المجموع	24226542	7016945	503314	31746801

اما نخيل لواء الرمادي تقدر 400,000 نخلة كما أشار اليه المصدر المذكور.[3]

هذا هو النخل في الفرات .ومن بعده فتكثر في الفرات الكروم وربما وجد في حدائق الفرات اكثر من مليون ساق لآشجار الكروم وكل تمرته تـؤكل حصرما او عنبا ولا يؤخذ منه زبيب ابدا .

وبعد الكروم يكثر في الفرات شجر الرمان واوفر ما يكون في شثاثة وكربلاء والهندية ولكنه اقل من شجر الكروم في مجموع الفرات وربما يكون المغروس من الرمان مليون شجرة او اكثر في الفرات ولكن المثمر نصف المغروس تقريبا والبقية ليس فيه الا الجلنار فكانه شجر ورد لا شجر ثمر .

وفي الفرات شيء من شجر البرتقال والنارنج والليمون والمشمش والخوخ والتين والتفاح والسفرجل واللوز والاجاص والتوت . هذه هي الأشجار المثمرة .اما غير المثمرة فيوجد على ضفاف الفرات وفي باديته شجر السرو والصفصاف والطرفاء والاثل والسدر والغضا والشنان.

ومن الأشجار الصغيرة الرمث والشوك والعاقول .

وشجر الفرات قليل لا يمون بلاده بالخشب اللازم بل يستورد ما يلزمه للعمارة والصناعة من بلاد الهند وشمال العراق .

اما الحبوب فأهمها وأوفرها الشعير فالحنطة فالشلب فالدخن فالماش فالذرة فبقية القطاني.

والأراضي المزروعة في الفرات التي تمسح وتقدر ب (المشارة) هي(22500) متر مربع.

وقد ضبط المعدل حاصلات المشارة فكان :

400 كيلو من شعير

300 كيلو من الحنطة

550 كيلو من الشلب

اما الشلب فمنطقته الخصوصية في قضائي ابي صخير والشامية وقد يزرع شيء منه في الهندية والرميثة وفي المجرة حوالي سوق الشيوخ.

ومجموع مساحة الأراضي التي تزرع الشلب في الفرات:

200 000 مشارة في الشامية وابي صخير بالضبط

25 700 مشارة في الهندية والمجرة والرميثة

74 300 مشارة الباقي موزع في الفرات

واما الذرة فمنطقتها في الفرات قضاء الجبايش والحمار. ومنطقة الشعير والحنطة فرات الحلة واليوسفية والصقلاوية .

وتقدر حاصلات الشعير بثلثين وحاصلات الحنطة بثلث لكثرة ما يزرع من نوع الشعير.

اما القطاني فاكثر ما يزرع في الفرات الحلة .ويزرع من البقول والفواكه والخضروات أنواع كثيرة في كربلاء والحلة .غير ان عشائر الفرات الصحيحة تأنف من زراعة البقول والخضروات وتأنف من بيعها.

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد-38–الثلاثاء 21 شباط 1928، 30 شعبان 1346

(2) طه الهاشمي، " جغرافية العراق "، ص 168.

(3) جاسم الخلف، " محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية " ، ص250 .

- 20 -

(1)

النادي الأدبي

بينما النادي الاقتصادي بحديثه والثالوث المقدس الشيخ والسيد والحاج متساندون اذ انفض الناس من ذلك المضيف وجفلوا نافرين ، فاستطلعت الخبر واذا برجل مهيب قد ركز علما وسط الحي وقد تهافت الناس عليه فطلعت نساء الحي تزغرد وتجمهرت رجاله، ولم تكن الا برهة حتى تقدم صاحب العلم حاملا لواءه وتبعه اكثر ذلك الحي نساءا ورجالا فخطوت وراء النافرين ولحقت بشيخ قد ثقل الضعف خطاه فقصر عن اللحاق بالناس فسالته عن جلية الامر فقال : ان هذا علم الزائرين .ومن عاداتنا اذا قرب موسم الزيارة ان يقوم احد الصالحين فيعقد علما ويمر ملوحا به على الحي ويكون بمثابة اعلان مقبول فننفر معه للزيارة .

والزيارة هي الحضور ولكنها في عرف الشيعة هي القصد وشد الرحال من الافاق والانحاء للحضور في ذلك المشهد . والزيارة في كل أيام السنة. ولكن هناك مواسم ممتازة او كما يسمونها مخصوصة . وتلك المواسم المخصوصة في كربلاء والنجف فقط دون بقية المشاهد . فيتكون في النجف وكربلاء عند حلول تلك المواسم محشر صغير ينسل اليه الشيعة من كل حدب ، فمن الهند وبلاد الساحل وبلاد ما وراء النهر فقفقاسيا وأذربيجان وبلاد الفرس والكرد والعرب . جماهير جماهير يقصدون ذلك الاحتفال المخصوص فتتخاطف السيارات بكافة أنواعها وتسبح السفن النهرية والزوارق ذات الجهاز البخاري وذوات الشراع وتمخر العمارات البحرية وتتهافت أبواب القطارات على الخطوط الحديدية تنعق من هنا وههنا ،وتحمل الخيل والبغال والحمير جماعات من القرويين وهناك اكوام من الساعين على ارجلهم . وزيارة القبور والمشاهد وان كانت توجد عند اكثر الطوائف الإسلامية ولكنها أصبحت من خصائص الشيعة حتى كادت تكون شعارا من شعائرهم . والزيارة عند الشيعة هي حضور روحي ومثول لنفس الزائر وان الروحانية الكبرى للمزار ونفسيته الممتازة وصفاته المقدسة ، تفيض على نفس الزائر فتنتعش وتكتسب وتتنور فتطمئن بعض الاضطراب ،وتسعد بعد الشقاء ،وترجو بعد القنوط ،وتشرق بنور الحسنات بعد التجهم بظلمة الذنوب . وربما أمكن ذلك الانتعاش الروحي بمجرد التصور لنفسية ذلك المزار واستحضار صفاته الممتازة الى الذهن والتجرد لتصوره تماما والطواف حول تلك الشخصية الروحانية طوافا ذهنيا . ولكن الشيعة لا تكتفي بذلك بل لا تعد تلك الزيارة الروحانية زيارة الا وان تكون عند تربة المزار وحول مرقده ،وتركز شعارها هذا على عقيدتين راسختين في حدود الشيعة :

احداهما اخذت من القران المجيد اذ يقول :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)

فهم يعتقدون ان للارواح شخصيات خالدة لا تموت ولا تتلاشى وانما هي قائمة باشباح لا يدركها العالم المادي . وثانيهما ان بين الروح والبدن المدفون مثل العكس على الزجاجة المقابلة للنور يحوم حولها. فروح ذلك العظيم تتصل بموضوع بدنه اتصال النور بالزجاجة تحوم مرفرفة حول ذلك المشهد . فالزائر الذي يحضر في ذلك المشهد ترتسم في مرآة روحه اشعة تلك الروح العظيمة ، فيدركها إدراكا روحانيا ويحظى بالمثول بين يديها ،ويتنور ببعض اشعتها ويرجع الى اهله وفي نفسه قبس من ذلك النور المقدس والشعلة الروحانية . هذه هي حقيقة الزيارة عند الشيعة ولها آداب كثيرة لا يجمل ذكرها في هذه العجالة.

وقد كانت الزيارة التي نفر اليها ذلك الحي في النجف فنفرت معهم وتركت النادي الاقتصادي وما فيه من رهج وهرج . اقبلنا على النجف وأول ما يلوح للمقبل على النجف شعلة نور يكونها توهج شمس النهار على شمس من الذهب ، وهي تلك القبة الابريزية المتوفرة على أبراج سود، ووضعتها الهندسية وضعة أسد رابض يطوق مدينة راكبة على متن الوادي متمتمة بأنفة البرية وجمال الربى. يدخل القاصد تلك المدينة وينصرف توا الى المشهد .

واليك صفة ذلك المشهد :

بناية فخمة نفيسة تاريخية تسمى (الصحن) وهو بشكل مستطيل ذي طابقين ، والبناية كلها مقطعة بايوانات وفي كل ايوان بيت صغير (حجرة) .

ويفصل كل ايوان عن ايوان ساريتان كل واحدة بعرض متر او يزيد على المتر ، وطولها يساند العشرة امتار ، يعقد بين الساريتين قوسان : القوس الأول وفوقه عصابة من القاشاني البديع بعرض نصف متر وهذا القوس لسقف الطابق الأول والقوس الثاني وفوقه عصابة من القاشاني وقد كتب عليها بالقاشاني الأبيض المرشوش بالقلم النسخي البديع كتابة بديعة من بعض آي من القرآن المجيد تسمى هذه العصابة في عرف الريازة النجفية (كتيبة) وهذا الاطار لسقف الطابق الثاني ،وهكذا تقوم عمارة المشهد ايوانا على ايوان وحجرة على حجرة وسارية على سارية يمنطقها من الوسط نطاق من القاشاني بعرض نصف متر وتعصبها من الأعلى (الكتيبة) بعرض متر ونصف الا قسما من الجهة الغربية فانه يشكل طاقا (ساباط) معقودا في ظهر الحرم ومساندا له على امتداده ،وذلك الطاق لا يستوعب الجهة الغربية بل انها من الجنوب الغربي تحاكي وضعة الصحن بأربع ايوانات ومثلها في الشمال الغربي . والطاق معقود بين الشمال الغربي والجنوب الغربي ومجموع ما في الصحن مئة واربع ايوانات ومئة وثلاثون حجرة وفيه ثلاثة مساجد : مسجد الجامع في الجهة الغربية ومسجد الخضرة في الجهة الشرقية ومسجد عمران بن شاهين الخفاجي امير البطايح في الجهة الشمالية . فالصحن حصار عال تحيط به الايوانات ، والحجر وقاعة مثلثة مكشوفة ، ويكمل الدورة الطاق المعقود في الجهة الغربية. وارض الصحن مبلطة بالصخر الصافي اللون قد قطع قطعا هندسية وقسم تقاسيم هندسية بديعة وحيطانه الى ارتفاع مترين مؤزرا بقطع كبيرة من الصخر الصافي اللون كل قطعة بارتفاع مترين وعرض متر ونصف تقريبا وقد كسي وجه تلك العمارة بالقاشاني الملون بالوان بديعة تمثل روضته افقا من رياض الفن قد برع فيها الفن وابدعت ريشة المصور بما خط وصور من حقول وأزهار وخطوط وتقاسيم وتخريم وريازة واصباغ نضرة كانما الان مرت عليها الريشة .

هناك ترى الهندسة اليونانية والطبع العربي الفاره وجمال الصناعة وجلال العلم قد اجتمعت وامتزجت فكونت مادة لذلك التصور البديع ، ورشاشا لذلك القلم ،واصباغا وادهانا لتلك الريشة. وفي ذلك الصحن قامت بجلال ووقار قبة ابريزية افرغت بأبهى صورة معقودة على بناية مربعة الشكل بديعة الهيأة أنيقة الوضع ، وتلك البناية تسمى (الحضرة) او تسمى (الروضة) وهي روضة صناعة او معجزة من معاجز الفن ومفخرة تاريخية في فن الريازة والبناء والهندسة ،جليلة جميلة قامت بشكل ايوانات أربعة فارهة من الجوانب الأربعة ، يعقد على كل ايوان اطار وقوس وفوق تلك الإطارات والاقواس عقدت تلك القبة المنيفة . وفي وسط تلك الروضة حائر من الصخر الأبيض النفيس بارتفاع شبر واحد وقد قام عليه من الجوانب الأربعة شباك من الفولاذ له عصابة فولاذية قد كتب عليها شيء من الشعر وآي من القرآن ويطوف بذلك الشباك شباك آخر مكسو بالفضة وله عصابة من فضة وقد كتب في أعلاه وفي جوانبه في الفضة شيء كثير من الشعر .

وذلك الحائر هو الرمز المقدس ، عرين الأسد ،قبر أمير المؤمنين (ع) .وتلك الروضة بيت اثري ، وخزانة تاريخية ، لو نسق ما فيها وصنف لكانت دار آثار من اهم دور الآثار الموجودة في الشرق ، فيها النفائس والمهمات والقيمات التاريخية. وفيها الرسم والتصوير الفاخر على الخزف الصيني والسجاد والمسارج والكتب ، وفيها الريازة والتخريم ، وفيها الاصباغ والفسيفساء والميناء والمحلول الذهبي ، وفيها الخطوط والصناعات اليدوية ، وفيها الأحجار الكريمة والقناديل المنبثة بالفصوص الثمينة فهي جنة الذوق والفن فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين .

تخرج من تلك الروضة الى رواق محيط بها من الجوانب الأربعة وهي والاروقة كلها ممردة بالقوارير جدرانها وسقوفها ،وقد تأزرت حيطانها بالصخر الفاخر النفيس ومنه تبلطت ارض الروضه والاروقة . وفي وجه الحرم بهو يرتفع عن قاعة الصحن بمرقاتين يسميه العراقيون (طارمة) وفي ذلك البهو ايوان شاهق وفي وسط ذلك الايوان باب فضي يدخل منه الى الرواق وهذا الايوان مع وجه البهو مما يلي الحرم مؤزر بالصخر الفاخر بارتفاع مترين ونصف تقريبا ، وما فوق ذلك فهو مكسو بصفايح الذهب وتمنطقه كتابة ذهبية فيها آي من القرآن ،وقطع من الشعر باللغات التركية والفارسية والعربية. وفي وسط ذلك الايوان تتدلى سلسلة ذهبية .

والى جانبي الايوان تقوم مئذنتان مكسوتان بصفايح الذهب ،ناهضتان الى السماء وبين تينك المئذنتين جلست تلك القبة الابريزية المتوهجة كأنها شعلة مقدسة على جبل من ذهب ، او نار الكليم في الوادي المقدس ، قامت توقر النجف شمس من الذهب يتكسر عليها نور شمس النهار . فما الطف ذلك العالم الذهبي من القبة والمئذنتين ووجه البهو اذا سالت عليه اشعة الشمس صباحا.

---

(1)جريدة النهضة العراقية –العدد 40 –السنة الأولى –الخميس 23 شباط 192 ،1 رمضان 1346.

-21-

(1)

تتمة

خصوصا وهو يواجه المشرق مواجهة . وأخيرا نور المشهد العلوي بمصابيح الكهرباء فامتد بين المئذنتين سمط منظوم من تلك المصابيح ، وجعل في اعلى القبة طوق من تلك المصابيح قد اوجدت كومة من النور في اعلى ذلك الصرح الذهبي فما اجمل المنظر ! ترى المئذنتين قد ارتبطتا بمجرى من النور كانه نهر المجرة تتدافع أمواجه من مئذنة الى مئذنة. وتلك الكومة من النور في اعلى القبة كانها مشعل مقدس يشع للارواح المالئة ذلك الفضاء . وقبالة ذلك البهو في قاعة الصحن من جهة المشرق مسرجة تمثل شجرة قد كللت بمصابيح الكهرباء ورتبت بشكل مخروطي فاذا اسرجت تقول عنقود من النور قد هبطت به ملائكة الذوق من فردوس اللطف وشجرة الطوبى وعليها طيور بيض من طيور الجنة .

وقبالة الايوان وعلى الباب الشرقي للصحن قامت ساعة كبيرة ذات صفحات اربع بيض وعليها برنس من الذهب واجراسها تدق في كل ربع ساعة ،ولها رنين في ذلك الطقس الديني والجو الذي تتموج فيه أصوات المبتهلين ونبرات الداعين فكأن رنينها هو ابتهال الزمان في ذلك المكان المقدس. وهذا الباب الذي نصبت عليه الساعة وهو الباب الشرقي يكاد يكون وجه المشهد وصفحته البارزة للخارج يستقبله الوارد على المشهد من باب البلد وما بين البابين سوق فخم مستطيل باعتدال واستقامة. فأول شيء تقع عليه عين الوافد على المشهد هو ذلك الباب كما ان اول شيء تقع عليه عين الوارد على النجف تلك القبة الابريزية التي تلوح من بعيد وهاجة لماعة . وقد استرعى التفات بعض ذوي الأفكار اللطيفة موقع ذلك الباب وشحذ اذهانهم فأقاموا عليه ايوانا وقورا شاهقا يقوم على قوس معقود من القاشاني المطوي المفتول طرائق طرائق بلطف وابتداع يحيط به اطار من القاشاني المكتوب بآي من القرآن بالقلم النسخي البديع وفي اعلى ذلك الايوان عصابة بهية من ذلك القاشاني المكتوب ، وفي داخل الايوان اطار ذهبي ومنطقة ذهبية قد كتبا بقلم ذهبي في آي من القرآن . فما اجمل ذلك الوجه وابهى قسماته! خصوصا في عين المقبل ليلا وقد أحاط به اطار من مصابيح الكهرباء في زجاجات ملونة منها الأبيض ومنها الأحمر ومنها الأخضر.

ومن الباب يلوح للمقبل ذلك العنقود من النور وكأنه عنق من نور قامت به المسرجة التي اسلفنا ذكرها .

ومن ذلك الباب يلوح أيضا الايوان الذهبي قد تموج بأشعة الكهرباء المتكسرة على صفايح الذهب فكان ذلك الايوان مشكاة من نور في مصباح ، المصباح في زجاجة . فما ازهر ذلك البيت المعمور الذي يكاد يضيء حجارة ويضوع طينا .

دخل صاحب العلم ذلك البيت المعمور وتبعه زوار الحي وأنا في اثرهم فوجدت الادباء قد تفيأوا ظلال ذلك البيت وقد انتشروا هناك حلقا حلقا واكثرهم قد اعتم بالعمة البيضاء كانهم طيور الجنة يتلاقطون حبوب الادب وهو كومة كومة

تلك الطيور البيض اين مقرها ست الجهات رصدن بالاشراك

واكثر تلك الحلقات تتعاطى الادب القديم العلمي والاجتماعي والروحي ، وبعضها يتكلم بالعادات وبعضها بالخرافات من زجر وفأل وطيرة وطلسم وعوذة وكوامل ووو ...

---

(1)جريدة النهضة العراقية-العدد (41) السنة الاولى الجمعة 24 شباط 1928، 2 رمضان 1346.

– 22 -

(1)

المركزية الفكرية -1-

تجتمع في عاصمة المملكة غالبا مركزيات عديدة ، فتكون فيها المركزية السياسية الاقتصادية والمركزية الفكرية . وهكذا تكون العاصمة وجها للمملكة يحكي برونقه والوانه عن باطن تلك المملكة. فالظواهر السياسية في العاصمة مثل اللون في الوجه ، وكما ان لون الوجه يتأثر بعوارض البدن وطواريه لا بد وان تتأثر العاصمة بعوارض المملكة وطواريها وهذه هي المركزية السياسية . وقد تكون العاصمة للمملكة كالقلب للبدن يوزع الدم في الاوردة والشرايين وهذه هي المركزية الاقتصادية ، وربما كانت العاصمة في المملكة بمنزلة الدماغ المفكر يشعر فيفكر فيريد فيرسل اراداته الى الاعصاب فترسلها الى الاعضاء فتتحرك وهذه هي المركزية الفكرية .

والامم والشعوب تختلف في كيانها فقد تكون مركزية وقد تكون لا مركزية . والمركزية قد تكون من سائر الجهات وقد تكون من بعض دون بعض . فبريطانيا مركزية بكل جهات المركزية . وفي لندن مركزية سياسية ومركزية اقتصادية ومركزية فكرية ، ومثلها في فرنسا واميركا ولكن المانيا عديمة المركزية من كل الجهات فان كبريات المدن الالمانية تشارك برلين وتشاطرها في السياسة والاقتصاد والحركة الفكرية ولكن ليس فيا مركزية فكرية ، وكذلك الامر في ايطاليا ، ففي ميلان وفي تورين من الحركة الفكرية ما هو اعظم مما في روما .

وهكذا الشرق فان مصر فيها مركزية تامة . ففي القاهرة مركزية سياسية واقتصادية وفكرية، وفي تركيا عدم مركزية ، ففي انقرة المركزية السياسية فقط اما المركزية الفكرية والاقتصادية ففي الاستانة ، وسوريا عديمة المركزية ، في السياسة والاقتصاد والفكر ففي دمشق الوان وفي بيروت الوان وفي انحاء من لبنان الوان .

اما العراق ففي عاصمته مركزية سياسية ولكن ليس فيها مركزية اقتصادية تامة ولا مركزية فكرية .

اما المركزية السياسية فقد كانت في العراق من يومه الاول فمن بابل الى نينوى الى المدائن الى الكوفة الى الهاشمية الى بغداد . ولم تتضعضع المركزية السياسية في العراق الا في وقتين في عهد المغول والتاتار اذ اصبحت سياسة الحلة غير سياسة بغداد ، وفي العهد العثماني اخيرا اذ اعدموا المركزية السياسية في العراق، ، فكانت البصرة وكانت بغداد وكانت الموصل مراكز ثلاثة في العراق، المركزية الحقيقية في الاستانة بخلاف العهد الاول للعثمانيين فقد كانت البصرة والموصل تابعتين لبغداد وكانت المركزية السياسية في بغداد.

وعلى كل حال فالوضع العراقي يقتضي المركزية السياسية وفيها صلاحه وكل تاريخه تجارب ناطقة بأن الرفاه العراقي والعمران العراقي والطبع والتربية السياسية في العراق قام حول المركزية السياسية في

العراق، وبدونها فقد وجدنا الخراب والدمار.
اما المركزية الاقتصادية فبغداد وان كانت سوقا كبيرا من اسواق الشرق ومحطة من المحطات التجارية الكبرى تتصل بها الخطوط التجارية من داخل العراق ومن ايران وكردستان وتركيا وسوريا ولكن بغداد سوق اجنبي اكثر منه سوق وطني. واذا كانت في بغداد حركة اقتصادية فهي لاوربا لا للعراق ويمكن ان اقول ان المركزية الاقتصادية في العراق معدومة او موزعة بين البصرة وبغداد او انها موجودة في البصرة فقط فالحركة الاقتصادية العراقية في البصرة . والى البصرة يتجه العراق كله في حركة السوق ومعرفة (البورصة) . فترى العراقيين في كل مكان يسألون عن سعر البصرة للدهن والتمر والحبوب والصوف والجلد، وفي كل يوم توزع دائرة البرق والبريد الوفا من البرقيات والتحارير الى انحاء العراق في بيان التسعير والتصريف وقيمة (الغالون).
فحركة الميناء في البصرة ودائرة البرق والبريد تدلان بوضوح على ان المركزية الاقتصادية للعراق في البصرة ، تلك المدينة التي نمت تجارتها حتى بلغت صادراتها في بعض الاعوام الاخيرة (3) ملايين وربع من الجنيهات وبلغت وارداتها مليونين و 653 الفا ، فكان مبلغ تجارتها السنوية في ذلك العام (6) ملايين جنيه .

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (43) السنة الاولى الاحد 26 شباط 1927 م 4 رمضان 1346 هـ

– 22 -

(1)

المركزية الفكرية -2-

اما المركزية الفكرية فما كانت في العراق وليست بموجودة اليوم ، فقد كان في غرة العهد العربي شيء من الحركة الفكرية في الكوفة وشيء من الحركة الفكرية في البصرة ، وكانت البصرة لا تتأثر بفكر الكوفة ، بل كان رأي علمي للبصريين ورأي للكوفيين. وهكذا استمرت اللامركزية الفكرية في العراق فكان في بغداد حركة فكرية وكان في المربد وكان في الحلة. اما اليوم فالرأي العام الادبي في العراق ذائب ومترجرج والمركزية الفكرية معدومة ولكن يوجد شيء من الرأي العام الادبي بصور لم تبلغ اشدها ولا اكملت رشدها، وتلك الصور هي الاحزاب والبرلمان والحكومة، وتوجد بعض الالوان من المركزية الفكرية في بغداد وبعض الالوان في النجف ويمكن ان اقول ان الالوان الموجودة في بغداد هي شيء من صبغة المركزية السياسية لا من صبغة المركزية الفكرية فان الصحف اليومية التي تصدر في العاصمة بما لها من قيمة وما لها من وزن تثبت المركزية السياسية اكثر مما تثبت المركزية الفكرية واذا كان فيها شيء من البضاعة الفكرية فهي غير عراقية اكثر منها عراقية. وان النجف وبغداد في المركزية الفكرية مثل البصرة وبغداد في المركزية الاقتصادية والنجف تشبه البصرة من هذه الجهة ، فالى النجف يتجه اكثر العراقيين في الحركة الفكرية ، والبورصة الفكرية لاكثر مدن العراق وقراه المهمة في النجف ، فان للافكار النجفية هيمنة على العراقيين. واني ارى العراق عادما للمركزية الفكرية، واذا كانت صيغة لتلك المركزية فهي في النجف . وبما ان للنهضة جهات ونواحي فاني ارى خيرا من هذه البعثرة الفكرية ان نقوم بتأسيس مركزية فكرية يكون الاتجاه اليها ويكون لها هيمنة وتأثير. أما عدم استقرار تلك المركزية سابقا في كل مكان خاص في العراق ولا في زمان خاص كما عرفت وذلك التحول من الكوفة فالبصرة فبغداد فالحلة فالنجف فيدلنا بوضوح ان الزمان والمكان ليسا بعنصرين لها.

ويجب ان تكون المؤسسة في مكان غير منشطر عن الاجتماع فان العزلة لا تصلح للمركزية الفكرية اليوم . وان النظريات المجردة وادبيات الامس والروحيات قد يصلح لها المكان المنعزل . اما الاجتماعيات وادبيات اليوم فلا بد وان تكون بمكان الدماغ بحيث تتصل به الاعصاب وترتبط به الحواس الاجتماعية ولا بد ان تكون في المحطة العمومية حيث شبكة الخطوط ومفترق السبل ومركز الاسلاك البرقية والتلفزيونية .هناك تمر العقول وتجوز الافكار بكل الوانها حتى تتمون مركزيتنا ، ننظر ونلمس ونشم ونسمع ونذوق ولا نتسيد بالمركزية الفكرية اذا كان مكانها على خط فرعي بعيد عن المحطة. فرأيي ان المركزية الفكرية للعراق يجب ان تكون اليوم في بغداد ويجب ان تنشأ هذه المؤسسة في العاصمة لا في غيرها .

واذا اردنا ان تكون لنا مركزية فكرية فلا بد وان نعمل على ايجاد بيت للامة، وايجاد زعيم وطني في ذلك البيت . ولا تليق تلك البيئة الا بدور الاحزاب، كما ان تلك الزعامة هي للقادة ورؤساء الاحزاب فاما ان ياتلفوا ويتظافروا على زعيم عام يساندونه بخططهم واعمالهم واما ان يحتفظوا بالزعامة فيشتركون كلهم في القيادة كل في دائرة اعماله وآماله التي لا يريد بها الا الصالح الوطني ، واكبر شيء يهدم تلك الزعامة ويهدم ذلك البيت هو عدم الالتفات لماضي الزعماء.

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (43) - السنة الاولى الاربعاء 29 شباط 1928 ، 7 رمضان 1346

-24-

(1)

الاسلوب الفكري -1-

اذا نظرنا الى التجدد في كل مكان وفي كل زمان وجدناه حقيقة تجددا في الاساليب . المادة هي المادة والحياة هي الحياة من التاريخ المجهول الى اليوم ، ولكن التنقل والتبدل في الاسلوب. ولا يتجدد اسلوب الحياة في قوم حتى يتجدد الاسلوب الفكري فيهم. فالاجتماع دائما يسير من اسلوب فكري الى اسلوب فكري ارقى وامتن والامة التي الهمت المعرفة، وهديت الى الصراط المستقيم ، تنتقل من اسلوب الى اسلوب بحركة مضبوطة واتجاه صحيح فتصل الى كل شيء في وقته ، اشبه شيء بحركة القطار الذي ركب المحجة وسار على التوقيت فانه يصل كل محطة في وقتها ، واذا ارتبكت تلك الامة وسلكت صراط المغضوب عليهم والضالين بطء عليها الانتقال وبقيت في اسلوب تعداه الاجماع وانتقل عنه الناس الى اسلوب آخر ، كما هي حالة الشرق اليوم، فقد ثقل سيره وبطؤ عليه الانتقال وتعدته الامم الغربية والشعوب. وحركة الشرق الى الانتقال لم تبطل ولكنها وانية وثقيلة، بيد ان الصدمة الكبرى في الحركة العالمية او كما يسمونها الحرب العمومية هزّت الشرق وبعثته للاندفاع بحركة اسرع من ذي قبل وكادت تبدل اسلوبه.

ولا بد وان يكون هذا التبدل في الاسلوب تبدلا حقيقيا عميقا بحيث يكون التبدل في انظمة الامة واساليب حياتها ناشئا عن تبدل في روحياتها وتكون تلك الحركة في اجتماعات ومراكز سلطانها من وزارة وبرلمان ومحاكم وصحافة، تلك المراكز سلطة الامة الديمقراطية منعكسة عن حركة باطنية في الامة وانفعال في الغرائز والمشاعر حتى يكون ظاهر الامة من باطنها والا فان الصبغ يفصل والطلاء لا يدوم، ولا ينبغي ان نتمسك بالاسلوب الاوروبي الماثل ونقول : ان اوربا كفتنا المؤونة وتحملت عنا عناء السفرة وعناء الطريق. لقد وجدناها واصلة فلنقف بازائها ونأخذ باسلوبها ونقول وصلنا ولا نلتفت الى الطريق الذي قطعته فان ذلك قد يصح في النتائج المادية حيث تكون نتيجة الطيارة والهاتف والحاكي والكهرباء واحدة لنا ولهم ولكن لا يصح في النتائج الادبية والاجتماعية، فان السير والحركة عنصران طبيعيان لحصولها والصغير لا بد ان يقطع مسافة زمنية حتى يصل الى ما وصل اليه الكبير وبمجرد الوقوف بازائه لا يصير الصغير كبيرا . والجاهل لا بد له من الاشتغال والدراسة والتطبيق حتى يكون عالما. فاذن لا ينبغي لنا اذا قرأنا شيئا من الاسلوب الفاشيستي مثلا ورأينا رجل الفاشستية الذي ما تحول الى هذا الاسلوب الاجتماعي الا بعد تحول وحركة في غرائزه ومشاعره والانفعالات في نفسيته وانقلاب في عقيدته الاجتماعية وتحول في الارادة حتى تجددت ميوله وعواطفه فتجدد اسلوبه ،ان نعتنق الفاشستية ونتعاطى الاسلوب الفاشستي كما نسمع ذلك عن بعض الايرانيين، فان ذلك ليس تقليدا اعمى او مشايعة بل حالة غيبية اجتماعية تشبه حالة المجنون الذي يظن انه في السماء وهو في الارض، استهواء اجتماعي يؤثر على بعض الضعفاء فينومهم تنويما مغناطيسيا ويغلبهم على ارادتهم وحركاتهم. يجب على قاطراتنا ان تركب المحجة وتسير قاطعة الطريق محطة محطة لا ان تنفر من محطة البصرة إلى محطة بغداد حتى تقف بازاء قاطرة سارت على الدرب ووصلت قبلها.

ان الاستعجال يوجب الالتباس والارتباك في اجتماعيات الامة فيعطل نموها ويحرف صحتها الاجتماعية،

لتبقى ضعيفة وان وصلت الى مركز القوة كالطفل الذي لم تكن نشأته علي اصول صحية يبلغ دور الشباب وهو هازل ضعيف، في لونه كمود وفي عصبه ارتخاء. والاسلوب الفكري لا بد وان يتجدد بصفته الاجتماعية لا بصفته الشخصية. فكما ان التجدد الشخصي لا ينفع في الاوضاع السياسية والامة باسرها والجمهور بعد لم تتطور عقيدته ولم يتزحزح.

كذلك لا يجوز ان ينتقل الاسلوب الفكري بانتقال صفة افراد لان الامور الاجتماعية يجب ان تنضج اجتماعيا وتشيع في نفوس المجتمع ويكون لها مجرى في العواطف والميول. وتجيء الشخصية الممتازة التي تأثرت اكثر من غيرها فتبث وتبعث في تلك النفوس المتأثرة ، فيكون الانقلاب الاجتماعي وتتحول الامة من اسلوب فكري الى اسلوب سياسي. ولكن ويا للاسف اني اجد التجدد والتنقل في الاسلوب الفكري وفي الوضع السياسي في اكثر المراكز الشرقية كتركيا ومصر وايران وسوريا والعراق تجدد اشخاص وتأثر طبقة ممتازة وسائر الطبقات في الجب وفي الهوّة السحيقة لم تزحزح ولم تتحول والاسلوب الفكري فيها قيم وعتيق وتلك الشخصيات المتجددة والطبقة المتأثرة قد جنت على الامة لانها اعتزمت جعل الامر بغير وسمها، وتطبعها بغير طابعها، وما اكبر هذه الجناية الاجتماعية!.

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (44) - السنة الاولى الخميس 1 مارت 1928 ، 8 رمضان 1346 هـ

- 25 –

(1)

الأسلوب الفكري -2-

والاسلوب الفكري الذي نتعاطاه لا بد وان يكون من عرفنا ومن تقاليدنا، وتكون بذرته مما ينبت بأرضنا، ويكون مماشيا لوضعنا الاجتماعي مناسبا لصبغتنا الشرقية مما تتحمله قابليتنا الاجتماعية ويسيغه الادب الشرقي ، فيكون اسلوبا فكريا شرقيا عربيا عراقيا لا ان نتناول اسلوبا فكريا غربيا اجنبيا ، ونفتح له نفوسنا وبلادنا ونستعمر له اخلاقنا استعمارا ادبيا ، ومعنى ذلك ان نحرث ارضنا ونبني بمكانه (البنكلة) . كثيرا ما تتعاطى اوربا اسلوبا فكريا يناسب التضخم المالي الموجود هناك المفقود هنا، ويقتضيه البطر الاجتماعي والتخمة الادبية والجنون العلمي، تلك الامراض الاجتماعية والادبية التي ساورت اوروبا وبعد لم يحلم الشرق بها لانه خال عن مبادئها واسبابها، فلا ينبغي لنا ان نلتفت الى ذلك الاسلوب الفكري فضلا عن ان تتحداه.

طغى العلم عندنا حتى وصل الى التصوف والتجرد فلا يجمل بالغرب اذا حاول مساجلة الشرق ومماشاته في العلم الروحي ان يتعاطى قبل كل شيء مسائل التصوف والتجرد بل لا بد وان يشتغل بالمبادئ ويتدرج فاذا بلغ واستكمل جاز ان يطفو به البحث الى تلك المسائل العالية وتلك الفيافي الواسعة . وهكذا نحن وكثير من الاساليب الاوروبية التي يجب ان لا نلتفت اليها لانها لا تلايم وضعنا الاجتماعي ولا السير الادبي والعلمي ولا قابليتنا الاقتصادية.

ما هو الاسلوب الفكري الذي نتعاطاه؟ وما هو الاتجاه الذي نبحثه نحوه؟ اختلف الشرقيون في الاسلوب فمنهم من قال بوجوب التعاطي بالاسلوب السياسي قبل كل شيء ، ومنهم من قال بالاسلوب الاقتصادي ، ومنهم من قال بالاسلوب العلمي . وقد اختلفت النظريات وتقارعت الحجج ، والذي اراه للعراقيين هو التحدي للاسلوب المعرب، فيجب علينا اقتفاء اثر المصريين والاخذ باسلوبهم فانهم اقرب الى مادياتنا وروحياتنا، وذهنيتنا وذهنيتهم واحدة.

والمصريون مالوا اولا الى الاسلوب العلمي ثم الاقتصادي ثم السياسي فالاسلوب العلمي هو الاساس بخلاف الاسلوب السياسي فانه ليس باساس بل سياج.

والاسلوب الاقتصادي ايضا ليس باساس ولكنه دعامة. فيجب علينا تعديل الصفوف والميل الى التربية والتعليم وبث المعارف والمدارس . لا نعرض عن السياسة والاقتصاديات بل نوجد لهما دائرة اختصاص ونتركهما للمتخصصين حتى نتمون من الاسلوب العلمي ، وحتى نبلغ مبلغا يمكننا ان نتعاطى السياسة بصفتنا الاجتماعية ونقوم بما تقوم به مصر اليوم من العناء والجهاد السياسي .

وكما اختلف الشرقيون في الاسلوب اختلفوا ايضا في الاتجاه. فانهم نظروا الى العمران المادي فوجدوا فيه طريقتين للاصلاح والتجدد ، طريقة الهدم والبناء وطريقة الترميم والطلاء ، بحيث يكون الظاهر جديدا والباطن (عتيق العتيق) وعرفوا ان العمران الادبي خاضع لهاتين الطريقتين، فاذا عتق بنيان الامة ونخر اخشابه السوس فاصلاحه اما ان يكون بالهدم والبنيان واما بالترميم والاصباغ والادهان. وحيث ان الانظمة الشرقية قد بادت ونخرت ومالت الى الانهدام، وقد تعداها موكب الاحتجاج الصحيح بنظمه واساليبه وروحه

الجديد باشواط بعيدة وقد دهس الخطر الامم الشرقية الغاطسة في سباتها ، فانتبهت للاصلاح ولكنها انقسمت في الاتجاه فمنها من تعاطى طريقة الترميم مثل الشعب العراقي ، ذلك الشعب الذي انتفض فلم يجد عمارته الا كالعمارة القديمة مائلة متداعية مملوءة بانواع الحشرات المضرة.

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (45) - السنة الاولى الجمعة 3 اذار 1928 ، 9 رمضان 1346 هـ

– 26 -

(1)

الحركة الفكرية (1)

انتفض الشعب العراقي فوجد ذلك الجسم الاجتماعي مؤلفا من اعضاء مريضة بل ميتة، فلم يلهمه الحظ ان يتعاطى طريقة الهدم والبناء . رهن نشاطه واسدل ستارا مضطربا على تلك البناية العتيقة فتعاطى بالترميم ، وكثر بالاصباغ والادهان والالوان. ولكن كلما عصفت ريح او هبت زعزع فزحزحت قليلا من ذلك الستار المضطرب ترى الفضايح الاخلاقية والفضايح الاجتماعية. ومن رأيي ان طريقة الترميم التي تعاطى بها العراق لم يكن رائدها الاخلاص ولم يقصد بها الصالح الوطني ، وفيها عوامل اجنبية خفية فهي مرض لا عافية، ولا يتم الاصلاح في العراق إلا بطريقة الهدم والبناء وهي طريقة شاقة وثقيلة ولكن لا بد منها ولا اصلاح بدونها.

ولا ينزعج المحافظون من رأيي هذا فانهم انما يخافون من الهدم وهذا الهدم قد اخذ اطراف البلاد وغاص في الاوساط ، هدم في الاخلاق وهدم في الاداب وهدم في التقاليد ، ونحن مشغولون في ترميم الدوائر النظامية وترميم المناهج والتشكيلات الادارية ، وترميم الاساليب اللفظية في النشرات والجرائد .

فليحسن المحافظون بي ظنا لاني اريد البناء والا فالهدم واقع لا محالة اما الترميم فيضرنا ولا ينفعنا.

الحركة الفكرية

تظهر الحركة الفكرية للامة في كل نواحيها وكل جهاتها. ففي المدارس وفي اليوت وفي المطابع وفي الانظمة وفي المرافق العامة وفي النوادي والازياء والاثاث والعمارة وحتى في النشيد والاغاني . واذا نظرنا الى الشعب العراقي وجدنا فيه حركة فكرية جديدة عامة وشاملة لكل نواحيه وكل جهاته ولكنها ظاهرة في بعض المناحي وخفية في بعض، وسوف تدأب الحركة ونتلاحق في الظهور ويومئذ ترى العراق غير العراق. والحركة الفكرية الجديدة اول ما ظهرت عندنا في المدارس والمطابع والانظمة، وهاي هي آخذة بالتلاحق في بقية الجهات وقد ظهر اثرها في الأزياء والاثاث وغيرها ولكني سوف اقتصر في البحث على مواطن الظهور :

المدارس - المطابع - الانظمة

المدارس

مدرسة القوم هي بيت فكرتهم، والمدرسة بكل اطوارها التاريخية قديمة في العراق، وقد ظهرت فيها الحركة الفكرية لكل دور من ادوار العراق التاريخية. وفي اول هذا القرن كانت الحركة الفكرية في المدرسة العراقية حركة دينية وغيبية ويعمل فيها جهاز من الفاظ واصطلاحات تلك المدارس من الغيبيات والنظريات المجردة

ومباحث الالفاظ والاصطلاحات . وطريقة التدريس يونانية قديمة وعقيمة، وكتب الدراسة سقيمة ومشوشة ، ولا منهاج ولا صفوف ولا مختبر ولا تطبيقات ولا تدرج في التعليم . ولكن تحول اتجاه الحركة الفكرية في العراق فانقلبت المدرسة العراقية انقلابا كبيرا ، فصارت الحركة الفكرية فيها حركة علمانية، وانتظم منهاج واحد للتعليم واصبح الصالح الوطني والشعار القومي في المدرسة العراقية قبل كل شيء واصبحت المدرسة العراقية تخرج الشبان وبايديهم مفاتيح اقفال الحياة الاجتماعية وفي اناملهم قدرة ولباقة لحل عقد الاجتماع وحل مشاكله. وقد عدلت الصفوف وثبت النظام ورتبت الدروس ترتيبا تربويا صحيا بتمرين اخلاق مع تنبيه للحس الوطني والروح القومي فترى المدرسة لاحظت في الطالب ذهنيته وروحه وبدنه ووطنه وقومه واخرجته مثالا صالحا للحياة.

فالحركة الفكرية في المدرسة الجديدة افضل من الحركة الفكرية في المدرسة العتيقة من حيث الاتجاه والسلوك والغاية. وامتازت الحركة في المدرسة الجديدة في ايجاد نهضة نسوية اخلاقية ادبية علمية فاشغلت النصف العاطل من الانسان العراقي . ولكن لا تزال المدرسة العراقية ناقصة، والحركة الفكرية لم تنشط فيها تماما .

نعم تأخر وجود المدرسة الجديدة في العراق فتأخرت ادبيا عن اخواتها من المدارس العربية في سوريا ومصر. اما تأخر وجودها فان المدرسة الابتدائية والرشدية والاعدادية ومدرسة الصنايع وكلية الحقوق وان وجدت في عهد تركيا ولكنها اولا تأخرت عن غيرها في الزمان وتأخرت عن غيرها في العدة والعناية وكانت المدرسة العراقية مثل مدرسة الزراعة الموجودة اليوم وهي جدران وباب.

---

(1)جريدة النهضة العراقية - العدد (46) - السنة الاولى الاحد 4 اذار 1928 ، 11 رمضان 1346 هـ

-27-

(1)

الحركة الفكرية (2)

ومبدأ تاريخ المدرسة الجديدة في العراق سنة 1290 هـ تقريبا . هذا مبدأ تأسيسها تاريخيا (في ولاية مدحت باشا). والا فيمكن ان اقول ان المدرسة الجديدة لم توجد في العراق الا منذ (6) سنوات ففي هذه المدة القصيرة وجدت المدرسة العراقية الجديدة التي لم تكن في العهد التركي الا عنوانا رسميا في دفتر الحكومة التركية تتقاضى له ضريبة خاصة تسميها ضريبة المعارف ولكنها لا تنفق على معارف العراق بل على معارف الاناضول . نعم ابتدأت المدرسة العراقية في العهد العثماني سنة 1290 هـ وتدرجت في التأسيس الى سنة 1336 هـ فانشئت مدرسة الحقوق البغدادية وآخر ما وجد في العهد التركي المكتب السلطاني . ولكن لم تكن مؤسسة المعارف حينذاك الا كغيرها من المؤسسات العثمانية الناقصة والفاقدة للروح المعنوية . أما في عهد الدولة المباركة والحكومة العراقية اصبحت وزارة المعارف مؤسسة علمية كبرى نود الابتعاد بها عن السياسة. ولكن برغم المقاصد الاسمى والغاية النبيلة كانت السياسة سداها ولحمتها وامتزج بذلك العلاج مرض فاتك، فالسياسة التعليمية غير صالحة والاختصاص في رجال المعارف قليل ، والمنهاج ناقص ومشوش فيه سقم وفيه عافية ، والكتب الدراسية تحتاج الى تشذيب وتهذيب، فحوادث الوزير المدير في السنة الدراسية دلتنا على سوء السياسة التعليمية ومبلغ الفوضى في ذلك الديوان . وحادثة دار المعلمين والطلاب الناجحين في نتيجة امتحان هذه السنة ، اذ كان عدد الناجحين 350 قد جهزتهم مدارس القطر واينعت فيهم ثمار الجهود مدة واذا بهم لم يجدوا مدرسة عالية مهيأة لقبولهم الا دار المعلمين التي لم يساعدها منهاجها على قبول اكثر من 90 طالبا فتأنفت دار المعلمين وتحكمت وطلبت الف مخرج لها في احباط مسعى 260 شابا عراقيا قد استعدوا وتدربوا ونجحوا في كل امتحاناتهم ولكنهم فشلوا عند النجاح وانطفأ املهم عند الشعلة وانكسرت على ابواب دار المعلمين 260 قارورة مملوءة بالعلم والادب والنشاط . وهذا الحادث يدل بوضوح على الخسارة الناشئة من عدم وجود مباراة ومطابقة بين انواع المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية. فلم تلاحظ النسبة بين الثلاث ولم تكن التالية مستعدة وقابلة لتناول الثمرات الناتجة من المتقدمة بحيث لا يحصل رسوب او تعطيل في المعلمين . وهذا ينذر بخطر كبير في المستقبل بينما يخص دور المعلمين الاولية والابتدائية 43000 تلميذ في مدة الدراسة الاولية والابتدائية ولم تجد لها من المدارس المهيأة لتكميل تحصيلها الا ما يسع 900 تلميذ تقريبا. فاين يكون مصير ال 42000 تلميذ من الشباب الناهض الذي انقطع الى دروسه عن كل سبب من اسباب الحياة؟ تشكو مصر من فقدان الاعمال وقلة الاشغال لخريجي مدارسها العالية كالطب والزراعة والتجارة ودور المعلمين ، وفي العراق تشكو الاعمال الاجتماعية ومرافق الحياة من قلة المتخرجين وقلة الاختصاصيين. ولا نزال تضخ الضخات الكبيرة من الرواتب الضخمة ونعقد العقود الثقيلة مع اناس لا يجدون لهم مرتزقا في بلادهم حتى تبلبلت مضغتنا وضاعت وحدتنا وكانت مؤسستنا الجديدة كعصبة امم صغيرة فيها التركي والفارسي والهندي والسوري والمصري .

المطابع

وكانت الحركة الفكرية في المطبوعات ضئيلة وكانت لا تتجاوز الغيبيات والنظريات والسفسطة والجدل والآداب اللفظية والتاريخ غير الممحص ، فكانت الحركة الفكرية في كل ذلك تائهة في واد ملؤه التشويش والارتباك. وتغير اتجاه الحركة الفكرية في المطبعة فاكثرت من كتب القصص وكتب المنحط واخذت تزيد الظلمة بتلك الصفحات الكثيفة وذلك الدخان المبثوث . ثم بزغ فجر النهضة فاتجهت الحركة الفكرية الى الادب العالي وشقت صدف الادب القيم عن ثمين االلآلئ، وغذّت النهضة بثمار العقول الجديدة، وانتعش الموسم الادبي ببركة الحاصل الفكري الجديد، فكانت كتب الادب العالي والتاريخ الممحص والعلوم النافعة والمعارف والفنون والصحافة، تلك الصحافة التي احسن ما صنعت ان حملت الى قلوب العامة حب الاستطلاع وعمقت ذوق المطالعة فكثرت المكاتب عمرت الاسواق الادبية . اذاً فالذهنية العربية قد تعاطت بواسطة المطبعة بثلاثة انواع من الحركة الفكرية : الدنيات والجدل، والمنطق اليوناني ،والتاريخ المشوش حتى مزّقت العقلية العامة وكلّت الذهنية من الغيبيات والابحاث المجردة . ونتيجة الضعف والكلل الفكري كان الدور الثاني فكأن طائر الفكر بعد ان حلّق في سماء اللانهاية تعب جناحه ولم يجد له وكرا في ذلك الفضاء الوهمي فسقط واهنا .

---

(1)جريدة النهضة العراقية - العدد (37) - السنة الاولى الاثنين 5 اذار 1928 ، 12 رمضان 1346 هـ

-28-

(1)

الحركة الفكرية(3)

وتعاطت الحركة الفكرية بالادب المنحط وكتب القصص وعندما انتهت هذه المهزلة وانقضت سنون الجدب، طلعت تباشير خصب الموسم وسف ذلك الطائر على حدائق الادب الصحيح ورياض العلم النافع . وجاء الدور الثالث للحركة الفكرية وهو الدور المبارك دور النهضة والتجدد . والعراق اقل الاقطار العربية نصيبا في المطبعة بل لا يوجد حاصل مطبعي في بيدر العراق ولا زال العراق تغذيه المطبعة الحجرية في ايران والهند والمطبعة الحديدية في مصر وسوريا واوربا.

ويوجد بعض المطابع في الموصل وبغداد والنجف والبصرة وكلها ضعيفة وغير مستعملة وليس لها نتاج ادبي كبير في اسواق الكتب في العراق . واكثر نتاجها المطبوعات التجارية ومطبوعات الحكومة ، ومن هذا القسم حصة وافرة من الاوراق الرسمية وهي بعض الصحف العراقية الهزيلة، وهناك قسم ضئيل من الصحافة المستقلة وبعض المجلات وكتب الدراسة الابتدائية ورسائل دينية . ولم تحتل المطابع العراقية من الكتب المهمة العربية بعض ما مثلت مطابع مصر وسوريا بل مطابع الاستانة واوربا، ومع ذلك فان المطبعة العربية ادت اكثر مما عليها وقامت باكبر من واجبها واليك طرفا من كلمة سبقت لي في المطبعة فقد قلت : "انها جنة أدبية فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين . تدفق فيها ماء الحياة فاخصبت البلاد وعمر الموسم واصبحت تلك الحروف الحديدية مصدر ثورة ادبية كبرى ، فقد شحذت اذهانا وفتحت قرايح وعمرت صدورا وبنت ادمغة كبيرة ونورت زوايا مظلمة في النفس وربت نفوسا وارادات قوية واصلحت المنطق ونشرت الصحيح الفصيح ". ومن حسنات المطبعة - اذا استثنينا (الصحافة) - نجدها ابعد من غيرها من مصادر الحياة الجديدة عن الاشراف السياسي ، وقلما دس في دسمها سم السياسة، فكتب الدعاية السياسية اقل من غيرها والحرية والذوق الصحيح في كتبنا وقصائدنا اكثر من غيره واذا لاحظنا الالوان التي قدمتها لنا تلك المائدة الادبية من القديم الصالح والجيد المفيد والمواضيع القيمة نعتقد انها تحت اشراف الادب العالي لا تحت اشراف السياسة ومراقبتها ، بخلاف غيرها من منافذ الحياة الجديدة التي خضعت للسياسة وتصرفاتها . ولو كانت عندنا مباراة صحيحة بين المطبعة وبقية وجوه الحياة بان تحصل المساواة والمطابقة بين نتاج المطبعة ونتاج المعمل والمصنع والمعدن والمتجر والمزرع والمدرسة لكانت الامة العربية اليوم في طليعة الامم الحية . فلو كان لنا علماء وعمال وصناع واقتصاديون وقادة وسواس واساتذة كما لنا من الكتاب والشعراء والادباء لكنا بمراتب من التفوق وشرف المقال.

والمطبعة يعوزها امران : شرف الغاية وتعزيز المبدأ.

أما شرف الغاية فان الغاية النبيلة في المطبوعات ومواعين الادب هي ادبية اكثر منها مادية ، فاذا عكست الغاية انهدمت الارادة الشريفة من المطبوعات وذهب المقصد الاسمى . وقد اصبح الهدف الوحيد اليوم للمطابع وشركات الطبع هو الربح المادي . واذا يوجد كتاب منفعته الادبية اكبر من منفعته المادية فانه يبقى في سلة المهملات ، اللهم الا ان يتطوع له فاضل متفضل على الادب وله ولع بالاحياء والايقاظ ، او شركة ادبية رصدت رأس مال كبير وجعلت ريعه للمنفعة الادبية . ولو ان المطبعة العربية توخت شرف الغاية

الادبية فقط لما كان في مكتباتنا الا المختار النقي ولاستراح ظهر الادب العربي من تحمل تلك الرضخات الثقيلة التي تركت من الاثر السيء في الاخلاق والنفوس والصدور والادمغة ما هو اكبر واضخم من نضداتها واتلف الثمنين اللذين صرفا عليها من الوقت ونور العين.

والشكوى من كتب كثيرة وآخر ما تشكو منه الروايات فقد اخرت في نفوسنا واخلاقنا واسرفت في اوقاتنا واموالنا بل انها اساءت ادب الجمهور وافسدت ذوقه اكثر مما هذبته واصلحته.

واما تعزيز المبدأ - وهو يخص المطبعة العراقية اكثر من غيرها - فلأنه بعد لم توجد في العراق ادوار التأليف والتعريف .

والنتاج الفكري عندنا قليل وقليل جدا والثمرات الادبية في بلادنا نادرة وكلما هو موجود في مطابع العراق الصحافة وهي في حال متزلزلة وضعيفة ماديا وادبيا.

ويمكن ان نقول بعدم وجود امة ناشطة للصحافة في العراق لا باقلامها ولا بمبادئها ولا باموالها. فلا احزاب ولا جمعيات ولا نقابات ولا طواذف صحفية فالصحافة في العراق صحافة افراد لا صحافة امة ، ونصيب الحكومة والسياسة فيها أكبرمن نصيب الامة والجمهور.

ولضعفها وترددها في المبدأ ومغالطتها في الحقايق لم تحصل على الثقة التامة والمنزلة الادبية اللائقة . هذه جرائدنا السياسية. أما الاوراق الادبية فالضعف في اقلامها اكبر من الضعف في مباديها ولا تزال تلك الثروة الادبية التي هي من اكبر دلائل الحياة معززة بشرف المبدأ وسمو مكانة الكاتب في مصر اولا ودونها في سوريا ودون الدون في العراق .

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (50) - السنة الاولى الخميس 8 اذار 1928 ، 15 رمضان 1346 هـ

الحركة الفكرية (4)

(1)

الأنظمة

هذه سبع سنين مرّت والحركة الفكرية في العراق متجهة الى انشاءات وتأسيسات يتكون منها نظام تضعه الحكومة ويستطيع الاهلون ادارتها مباشرة او باقل ما يمكن من المساعدة . ويجب ان يعرف القارئ نوع الحكم في العراق حتى يعرف اتجاه الحركة الفكرية فيه . فاقول بعد ان تفسخت المملكة العثمانية وتدفق السيل الاوربي في العراق وسوريا ومصر وثغور اليمن ونجد مكثت الحالة في زمن الحرب حالة مناورات سياسية وحربية ولما تهادنت الدول المتحاربة اثرت تلك الحروب الكبرى في درجات على العالم واجتماعياته. وكان الانقلاب المعنوي فيها اكبر من ذلك الانقلاب المادي. وتلك الهزائم والزعازع قد اثرت على السياسة والنظام في الداخل والخارج فبادت دول وانبعثت حكومات وتغيرت انظمة فجدت اشياء ودثرت اشياء ومن جملة هذه التغيرات التنويع الذي جرى في سياسة الاستعمار خصوصا الاستعمار البريطاني. فكانت بعض الاقطار تدار بالمباشرة من قبل وزارة المستعمرات كما في الهند وفلسطين ، وبعضها تدار بالاشراف من قبل وزارة المستعمرات والاطلاع كما في العراق، وبعضها يرتبط في وزارة المستعمرات بقيود الصداقة والامتيازات والتحفظات كما في مصر ونجد. ولكن الحركة الفكرية في كل الانظمة العراقية وانشاءاتها وتأسيساتها تريد الانتقال بالعراق من الادارة تحت الاشراف والمساعدة الى ادارة مستقلة ترتبط مع وزارة الخارجية لا وزارة المستعمرات بالصداقة وتبادل المنفعة وضمان المصالح .

هذه هي الحركة الفكرية في كل الانظمة العراقية وهذا اتجاهها وتلك هي الغاية لسامية التي نتوخاها في كل انشاءاتنا . ولكن توجد انظمة بالية في العراق ضعفت فيها الحركة وفارقتها الروح يجب ان تتنحى عن الطريق لكي لا نقف في اتجاه الحركة الفكرية الجديدة. وتلك الانظمة البائدة وان قلت في السجلات والقيود والقوانين والتعاليم ولكنها كثيرة في نفوس تلك الطبقة البائدة من (الافندية) الذين هم تركة العهد التركي ، والسمّل الذي نزعوه في هذه البلاد.

الرأي العام

اذا صح تشبيه الامة بجسم اجتماعي كبير ، ولذلك الجسم اعضاء ، ولتلك الاعضاء وظايف، فالرأي العام هو عقلية الأمة وذهنية ذلك المجتمع . ومن هنا ترى الامم الحيّة تتمون من الرأي العام في معالجة الشؤون الخطيرة وتخور وتسقط اكبر الشخصيات البارزة وان اعتمدت على الحديد والذهب اذا لم يساندها الرأي العام . فمنزلة الرأي العام من الامة منزلة العقل من الجسد ، وقيمته قيمة الذهن من الدماغ .وكما ان الفرد ينتقل ويكمل تدريجيا من الفطرة الى الغريزة الى العقل وعند بلوغه الرشد العقلي يكون له رأي رشيد قبل ذلك لا رأي له او لا قيمة لرأيه كذلك الاجتماع يتدرج من الفطرة الى الغريزة الى العقل فقبل بلوغه ونضجه لا قيمة لرأيه ولا رأي له . واذا كان العقل الفردي ينقسم الى مطبوع ومسموع فالعقل الاجتماعي واحد وهو العقل المسموع ، بل اني اعتقد ان العقل الفردي ايضا واحد. اما المطبوع فتلك الفطرة او الغريزة لا العقل .

فالعقل نتيجة التثقيف والتربية فاذا كانت لنا تربية اجتماعية وتثقيف عام فلنا رأي قيّم ولنا عقلية اجتماعية

والا فلا قيمة للرأي العام الذي عندنا. واني لا ارى مجالا للرأي العام الا في الامور الاجتماعية . اما المسائل الدينية والانقسامات الطائفية والدعايات الوطنية فتلك ميول وتلك عواطف ولا مجال للرأي العام فيها. لان الرأي من وظائف العقل وتلك من وظائف العواطف . والعواطف قوة مستقلة عن العقل ومجراها غير مجراه . اذاً فالرأي العام نتيجة التثقيف والنظر الى تربيتنا الاجتماعية من حيث المعارف وعن مقدار الحكومة الشعبية والحياة البرلمانية والتربية الحربية والنوادي الادبية والمعاهد والنقابات والجمعيات واذا استكملت كل هذه الظواهر الاجتماعية عندنا وبلغت الرشد يكون لنا رأي رشيد يصارع كل قوة ويؤثر على كل مشروع وتكون له السيطرة والهيمنة.

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (54) - السنة الاولى الثلاثاء 13 اذار 1928 ، 20 رمضان 1346

-30-

(1)

الحركة الفكرية (5)

وبما ان التثقيف عندنا بعد لم يستكمل ، والتربية الاجتماعية ضعيفة ، فالرأي العام من هذه الجهة فج وضعيف، وقد يقولون انه ذائب او غير متماسك . والاحزاب التي عندنا والبرلمان الذي انهدم والنوادي الادبية والمعاهد ، وان كانت مواطن للرأي العام، ولكن اثر السياسة فيها اكثر من اثر الاجتماع فهي مبعوثة اكثر منها منبعثة ومقومة اكثر منها قائمة بنفسها ، وما هي الا رقوق تمثل لنا صور مواطن الرأي العام على مسرح السياسة. فالخصوصية فيها اكثر من العمومية، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان العراق لم يخل من الرأي العام ومثله مثل الفرد الذي لم ينشأ نشأة علمية ولم تثقفه المدارس والفنون ولكنه امتحن وابتلي فثقفته التجارب وهذبته المواقف وربت له عقلية واوجدت له رأيا رشيدا . فقد مخّضته الحوادث وثقفته المصائب وسحقته الشؤون حتى نبهت فيه العصب الحي فجمع من التجارب حصافة وعقلية يهتدي بها في شؤونه ويستضيء بنورها في ظلمات الحياة.

ومن هنا نشأ رأي عام عراقي حصيف اثر الاجتماع به اكثر من اثر السياسة. وهذا هو نواة الرأي العام الحقيقي الذي سوف يكمل ويستقل فيدك صروح الباطل ويعلي صروح الحق . ولكن المشكلة القانونية فيما اذا اختلف هذا الرأي العام الحقيقي مع تلك المواطن التمثيلية وكان هذا في جانب وتلك في جانب فالسلطة الشرعية مع من ستكون واين مكان الامة من هذين الموقفين ...؟

الحرية الفكرية

قالي لي احد الرفاق يوما : من الحرية الفكرية ان انتقد على الادباء نشدانهم الحرية الفكرية وتجنيدهم للسفور ونحن في هذا المستوى من الاخلاق وهذه الدرجة الادبية وهذا الوضع الاجتماعي الراهن . فذكر هاتين الناحيتين الاجتماعيتين الاصلاحيتين سابق لأوانه. وطلبها طلب للباطل، فقلت له :

ان الادباء الذين ينشدون الحرية الفكرية ويقولون بتعليم المرأة انما ينشدونهما لرفع المستوى الاخلاقي وتصعيد الدرجة الادبية وتحسين الوضع الاجتماعي الراهن، فالطلب في محله وتأخيره حرام والتأخر عنه خيانة ، وانت تنفي بأدلة الاثبات.

ان الضغط على الام وابرازها بصورة ذلك الشبح الاسود التعيس الذي دفنها في قبر متحرك مرن من نعومة الحرير او لين الصوف قد عطّل نصف الامة وشلّ حركة النصف الثاني، اما انه عطل نصف الامة فواضح واما انه شل حركة النصف الثاني فلأن الام هي المدرسة الاولى واذا لم يكن شيء من العلم والمعرفة هناك لم تكن مباراة بينها وبين المدرسة الثانية وكان الاساس شيئا والبناء شيئا فيحصل تشويش واضطراب في نفسية الطفل وهو بعد غض طري، فينطفي في ميدان الاشتغال وهيهات ان تنجح قضية التعليم والتربية عندنا ما لم يكن في بيوتنا شيء من العلم وفي شوارعنا ومرافقنا العمومية شيء من نتائج العلم كما في مدارسنا شيء من العلم والتربية والا فما يحمله الطفل من المدرسة يضيع اكثره في البيت وفي الشارع .

---

(1)جريدة النهضة العراقية - العدد (55) - السنة الاولى الاربعاء 14 اذار 1928 ، 21 رمضان 1346

- 31 –

(1)

المسألة النسوية والحرية الفكرية

ان المسألة النسوية بجوهرها مسألة اخلاقية تهذيبية ، والحكم على الام بهذا السجن اتهام لاخلاق الرجل والمرأة ، وضعف ثقة بالملكات والفضيلة، فلو اننا الحمنا ذلك النسيج الحريري او الصوفي بخيوط من الفضيلة والتعليم واعتمدنا على ان نزين به الاخلاق لكان خيرا وافضل من اعتمادنا على تلك الخرق والاسمال فقط.

ولا يتوهم القارئ ان هذه المسألة الاجتماعية مسألة تبرج وتهتك وصون واحتشام، فاني لا اقول بان تترجل المرأة كما هو الذوق الاوربي، ذلك الذوق الفاسد اخلاقا واجتماعا ، ومخالف لكل النواميس حتى النواميس الطبيعية، فان الطبيعة والاجتماع فرقا بين النوعين في الاعضاء والوظائف .

انا لا اقول دعوهن سوافر يتجولن في الاسواق والشوارع فان ذلك وصمة لا شرف ،وضرر لا نفع . وللبرقع حشمة وادب يزيدان نظامنا الاخلاقي رونقا وجلالة. وانما المسألة مسألة بعث المرأة او اقبارها ، قتلها بالجهل او احياؤها بالتعليم ، والمحافظة على كرامتها واخلاقها بالحجر والتضييق او المحافظة على الاخلاق بالاخلاق وتربية الملكات الفاضلة. كما اني لا اقول بتعليمها في سائر العلوم انما لها وظائف خاصة في الاجتماع فعلينا ان نثقفها وندربها على العلوم التي تساعدها على اتمام تلك الوظائف .

اما الحرية الفكرية فيجب ان نعرف قبل كل شيء ان المنشود هي الحركة الفكرية في دائرة النظام وداخل الصدر الاجتماعي . اما الخروج عن الصدر وعن الدائرة فذلك فوضى لا حرية ، واني لأرى أن ما يحجب بنات الافكار ويحجرهن ويحرم عليهن السفور ليس سوى السياسة .وهي السياسة القديمة سياسة الاستيثار وكم الافواه وحبس القرايح السياسية التي تتمشي عليها مادة المادة (23) من قانون المطبوعات . والا فان السياسة الرشيدة قد حرست الشارع بالمحاكم الحقوقية وتركت الناس على رسلهم يمشون في الشارع متمتعين بحريتهم .

اما العلم والادب والاجتماع والدين فالحرية الفكرية تعززها وتعي مكانتها وتجعلها في دائرة اوسع وانفع. واني فوق ان ارى التفكير في الدين ضلالة ولكني ارى التفكير في الدين عبادة، وان الذين يعبدون سبحانه بتحريك عقولهم هم في اعلى طبقات العباد، وان الايمان بالدين ايمانا صحيحا هو رد فعل ونتيجة الفكر الطويل ، وقد جعل القرآن المجيد المعرفة الممتازة عند الراسخين في العلم، وكم رأينا ورعا عاليا وتقوى ممتازة في نفوس رجال العلم وحملة لواء الفلسفة .

اذاً فلا خوف على الدين من التفكير وحرية التفكير. اما العلم والاجتماع فكل ما للعلم من خوارق ومعاجز وللاجتماع من مزايا فهو نتيجة التفكير في دائرة ضيقة فكيف لو كان التفكير في دائرة اوسع ؟

فالحرية الفكرية تعمل ولا شك على زيادة خوارق العلم ومزايا الاجتماع . واما الادب والاخلاق فان التفكير اساس تقويم الاخلاق وتقوية الاداب . فالحرية الفكرية تزيد في تلك التقوية وذلك التقويم . وخلاصة الخلاصة ان الانسان بلا تفكير قصبة فارغة وكلما ازداد تفكيرا ازداد انسانية في علومه وآدابه وديانته واجتماعياته .

ان العين حرة في التصرف بنورها، والاذن حرة في استماعها ووعيها، واليد حرة في لمسها، والانف حر في شامته، وهكذا كل جارحة في وظيفتها ، فلم يشذ الفكر وتقاوم حريته ؟ ألأنه يهدم صروح الباطل؟ ألأنه

يشق الصدف ؟ ألأنه يمزق الحجب ؟ ألأنه يقشع الغبارات ؟ ولا ادري ماذا يريد اولئك الذين يحاولون الضغط على الحرية الفكرية وهل استندوا على شيء من المنطق في ارادتهم ومحاولتهم هذه ام انهم لا يعرفون ما يحاولون ؟ هل يمكن ان نكلف الناظر وهو مفتوح العين في صحوة النهار وحوله الالوان العديدة ان لا يرى شيئا مع ان عينه مفتوحة ؟ هل يمكن ان تكلف صاحب الشامة وهو في وسط عابق بالروائح والشذى والنسيم يملأ منخريه ان لا يشم؟ هل يمكن ان تكلف الاذن التي ليس بينها وبين القرع سوى تموجات الهواء ان لا تسمع ؟

فكيف تتصور انك تكلف الفؤاد ان لا يعي والدماغ ان لا يفكر ؟ وهل يمكنك ان تجرد النور من اشعاعه والورد من رائحته حتى انك تتصور ان تمنع الانسان من التأثر بافكاره والتمتع بمحاصيله الفكرية .

وأي قوة تستطيع ذلك ؟ وكم حاول ذلك جبابرة وقساورة ففشلوا . أفليس من العار على الانسان ان يكرر هذا الفشل ويطمع في هذا المحال في كل حقبة من الدهر.

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (56) - السنة الاولى الخميس 15 اذار 1928 ، 22 رمضان 1346

- 32 –

(1)

يسمي البيولوجيون الدور الذي تنمو فيه ملكات الناشئ الجيد وترسخ فيه خواصه وخصائصه بالدور الحساس. هذا في التربية الفردية ولا شاك ان التربية الاجتماعية تقطع كل الادوار التي تقطعها التربية الفردية . فاذا نظرنا الى تربيتنا الاجتماعية نرى الامة اليوم قد بلغت الدور الحساس وقد اسرعت لتقطع مراحله وتجتازه بتلك السجايا التي اكتسبها بملاحظات دقيقة وتردد طويل وفحص للامور . وبعد ثورات لذلك العقل البكر وانفعالات في تلك النفس الناشطة الطامحة الى فتح العالم والاستيلاء عليه. ومن اعظم واجبات المربي معرفة ذلك الدور معرفة مضبوطة ومراقبة ظهور ذلك الدور وسيره حتى يعدل اتجاه الناشئ ويحول وجهه الى آفاق خاصة ليلتقط السجايا الفاضلة ويبني شخصيته بنيانا مباركا . وهكذا الامة يكون عملها في هذا الدور شاقا ومحفوفا باخطار اجتماعية وادبية ومصاعب اخلاقية. ففي هذا الدور تتجه الامة الى آفاق عديدة وتسبر ملاحظات دقيقة وتوجد في وسط مملوء بالميول والنزعات وتكثر فهيا الثورات الفكرية ونزوات النفوس المتطلعة . وفي هذا الدور تبني الامة نفسها وتؤسس خصائصها وادابها العامة وتظهر بمظهر امة ذات كيان ادبي واستقلال اجتماعي لها ميزتها ولها تقاليدها فتكون مثلا شعبا عراقيا قبالة الشعب المصري والسوري . فعلى القادة وعلى الادباء الذين يتصرفون بنفسية الامة ، تلك النفسية المرنة اليوم التي سوف تتصلب وتستعصي ، والذين يستطيعون تحويل الاتجاه وتعديل الاسلوب ان يراقبوا سير الأمة في ذلك الدور الحساس ولا يدعوها تبعثر خصائصها وتضيع مميزاتها وتندمج في شعب من الشعوب الاكالة فتستهلك وتفقد صفاتها استهلاك الحديد في جسم النبات الذي هو احد اجزائه .

والشعب العراقي اليوم في عربيته اكثر منه في عراقيته اي ان الخصائص القومية فيه اكثر من الخصائص الوطنية وسبب ذلك ان التزاحم القومي الذي وجد في العراق من القديم جعل القومية في العراق اكثر من غيرها لان النضال بين القوميات صير كل حزب يحرض على قوميته ويدفعه الى العمل على تقويتها وتعزيزها . فقد تصارعت القومية الاثورية والكلدانية في العراق ثم القومية الاثورية والفارسية ثم الفارسية والعربية ثم العربية والتركية فكان تبارز القوميات وتصادمها في العراق سببا لتناسي العراقية وتخدير الشعور الوطني . وفي تلك الادوار وجد قادة وملوك من تلك القوميات ولكن لم يكونوا من اهل الوطن ، فلم يؤثر ذلك ضعفا في منزلتهم ولم يقلل في الترحيب بهم فلم يكن (كورش) عراقيا ولكنه كان آثوريا. ولم يكن اردشير نبطيا ولكنه كان فارسيا، ولم يكن المنصور عراقيا ولا من عرب العراق ولكنه كان عربيا . وهكذا سرى الاثر الى اليوم فكانت القومية غالبة على الوطنية . وربما كان شبه هذه الروح في مصر وسوريا ولكنها في العراق اقوى .

فربما كان الالمان والانكليز من عنصر واحد ولكن بروسيا وبريطانيا جعلتهم بروسيين وبريطانيين اكثر منهم سكسونيين . وهكذا الشأن في اكثر الشعوب الاوربية. فقد تغلبت فيهم الوطنية على القومية وسرى هذا الاثر الى الشرق فاصبح العرب المصريون يشعرون بمصريتهم اكثر من شعورهم بعربيتهم. وهكذا الروح في سوريا فانهم سوريون اولا وقبل كل شيء ثم عرب. ولكن العراق بعد لم تثقل فيه النشوة الوطنية فالعراقيون اليوم عرب قبل كل شيء ثم عراقيون والاثار العربية اكثر من الاثار العراقية في مؤسساتهم وفي تقاليدهم وفي مظاهرهم فلا في رايتهم شعار عراقي ولا في دواوينهم ولا في اوسمتهم ولا في بزاتهم الرسمية ولا في اعيادهم.

ترى الطوابع المصرية مثلا وقد طبع عليها اكبر اثر مصري وهو الاهرام وترى الطوابع العراقية وقد طبع عليها صورة هجّان عربي وبيده علمه العربي كما طبع على بعضها صورة القبة الكيلانية وعلى بعضها صورة قفة نهرية . وكان الاجدر بالطوابع العراقية والراية العراقية ان تحمل شعارا عراقيا فلماذا لم يطبعوا على الطوابع العراقية صورة برج بابل او صورة هيكل أور او صورة البستان المعلق ولماذا لم يصوروا على العلم العراقي صورة الاسد ذي الجناحين الذي كان يمثله البابليون دائما.

واذا نظرنا الى التاريخ العراقي الذي بايدينا ولم نزل نلقنه لناشئتنا نراه تاريخا عربيا اكثر منه عراقيا . فالوقايع العربية اكثر من الوقايع العراقية والحدود والفواصل التاريخية عربية اكثر منها عراقية والابطال كلهم عرب فللمناذرة ولسعد ولخالد وللحجاج ولزياد ولعتبة بن غزوان ولعبدالله بن رواح ذكر في تاريخ العراق اكثر من العراقيين الوطنيين من آشور وكلدان ونبط . وللحيرة والبصرة والكوفة وذي قار وبغداد وسامراء ذكر اكثر من نينوى وآشور ومدينة كلح وسنكره ولارشام واورك وكوني وبرسيا وأور ونيسبور وسبارة وكيش ولاكاش .

فعلى الساعين لايجاد نهضة عراقية وبنيان حكومة عراقية لشعب عراقي ان ينحازوا بالعراق الى عراقيته فقد انحاز المصريون الى مصريتهم والسوريون الى سوريتهم. اذاً فعلينا ان لا نترك العراق متذبذبا ولنتعاط بالتاريخ العراقي ولنمجد الابطال العراقيين ولنشهر المدن العراقية ونوجد جغرافيا عراقية من القديم وتشيد دار آثار عراقية ونحترم شعائر العراقيين وتقاليدهم وبذلك نوجد وطنية قوية في العراق ما دامت في الدور الحساس حتى ننمو بنموها ونتقدم بتقدمها والا فاذا قطع العراقيون هذه المرحلة واجتازوا هذا الدور يصبح من الصعب ان يوجد فيه ملكة راسخة او يبنى فيه ساق جديد للوطنية. ومن البخس للعراقية ان يلم المستشرقون بالعراقيات من آثار ومن وقائع ومن تقاليد ومن ابطال ومن مدن وشؤون ما لم يعلم به العراقيون ولا احتفظوا بشيء منه .

انتهى

---

(1) جريدة النهضة العراقية - العدد (57) - السنة الاولى الجمعة 16 اذار 1928 ، 27 رمضان 1346